رواء
مجلة فكرية دورية

- هل يوجد في الإسلام نظام حُكْم؟
- وسائل التواصل الاجتماعي .. لخدمة الإنسان أم للسيطرة عليه؟!
- جحود الغرب والإمبريالية المعرفية
- هل أوصى الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه بالخلافة يوم غدير خم؟

الرجل والمرأة تكاملٌ لا صراع

العدد الثالث عشر
رجب ١٤٤٣ هـ
شباط/ فبراير ٢٠٢٢

هذه المجلة

(رَواء) مجلة فكرية تُعنى بالإنتاج العلمي والدعوي والتربوي والاجتماعي، وتسعى أن تكون منارة في أرض الشام المباركة، تُشع بالعلم والمعرفة من خلال المجالات الآتية:

- الأصالة والانطلاق من ثوابت الدين والأمة، وتعزيزها في النفوس.
- بث القيم الحضارية وروح النهضة في المجتمع.
- تعزيز جانب الائتلاف وجمع الكلمة بين صفوف الأمة.
- إثراء الساحة بمقالات متميزة تلامس الواقع، في قضايا المنهج والتجديد والإصلاح.

ترحب مجلة رَواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

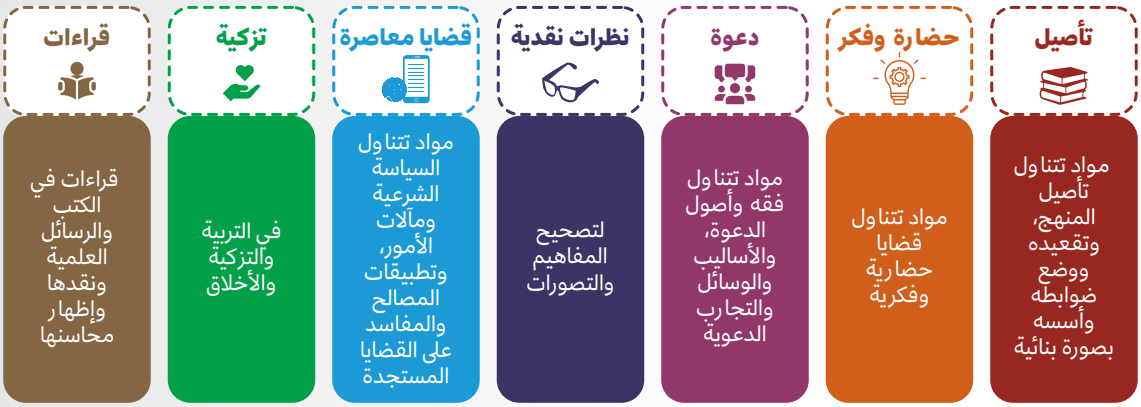

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

سياسات النشر في المجلة

١. تنشر المجلة المقالات التي تثري محاورها الأساسية.
٢. تلتزم المجلة سياسة التحرير الهادئة، وتجنب النقد الجارح وما يثير النزاعات والفتن.
٣. لا تنشر المجلة ما يجعلها طرفاً في صراعات دولية أو إقليمية أو محلية.
٤. يُحكّم المقالات الواردة للمجلة متخصصون في موضوعاتها.
٥. أن يكون البحث أصيلاً ومخصصاً للمجلة، ولم يُنشر في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم يقدَّم إلى أيّ جهة أخرى للنشر.
٦. تنشر المقالات بالأسماء الصحيحة والصريحة لأصحابها.
٧. تلتزم المجلة بإخبار الكاتب بقرارها من النشر أو عدمه خلال شهر من استلام المقال.

فهرس الموضوعات

الرجل والمرأة .. تكاملٌ لا صراع ٢

هل يوجد في الإسلام نظام حُكْم؟ ٨
د. عماد الدين خيتي

صور من حقوق المرأة في الإسلام ١٦
د. رغداء زيدان

وسائل التواصل الاجتماعي .. لخدمة الإنسان أم للسيطرة عليه؟! ٢٣
أ. أحمد أرسلان

استعيذوا بالله من مُعوِّقات النجاح ٣٠
أ. محمد علي فتح الله

جحود الغرب والإمبريالية المعرفية ٣٤
م. طاهر صيام

هل أوصى الرسول ﷺ لعلي ﷺ بالخلافة يوم غدير خم؟ ٤٢
أ. عبد الناصر حسن صويص

هل ستنتصر أمة الإسلام حقًّا؟ ٤٨
د. عمر النشيواتي

التقدُّم الحضاري وتراجعه في ضوء القرآن الكريم ٥٥
أ. عبد الرزاق ميزة نازي

قراءة في كتاب: الإسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب ٦٢
أ. أحمد بن أسامة حلاق

بأقلام القراء ٧٠

أَلْقِهِ على بلال ٧٢
د.خير الله طالب

رواء

مجلة رَواء
دورية فكرية تصدر كل شهرين

هيئة الشام الإسلامية

أسرة التحرير

د. عماد الدين خيتي
رئيس التحرير

أ. ياسر المقداد
مدير التحرير

أ. محمود درمش
سكرتير التحرير

أ. جهاد خيتي

أ. عبد الملك الصالح

تكتب جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، وترسل إلى:
rawaa@islamicsham.org

rawaamagazine

www.rawaamagazine.com
www.islamicsham.org

كلمة التحرير

الرجل والمرأة .. تكاملٌ لا صراع

إحكام خلق الكون آية عظيمة:

خلق الله تعالى الكون وما فيه على أكمل وجه وأحسن نظام بما يحقق الغاية من خلقه، ويدلّ على عظمة صانعه، ومن أظهر وجوه ذلك: الانتظام بين جنباته، والتوازن بين مخلوقاته، ووجود قوانين حاكمة أينما اتّجه النظر وتبحّر الفِكر.

وهذا الجانب من حسن الانتظام وكمال الإحكام، لمسه الأوّلون على قلّة التفاصيل التي أحاطوا بها في عصورهم، ويلمسه العلماء اليوم مع التقدّم الكبير في اكتشاف القوانين والأنظمة التي تُسيِّر الكون بأجزائه المختلفة.

فعلى مستوى النجوم العملاقة والأفلاك العظيمة والمجرّات الهائلة ثمّة قوانين حاكمة تحدّد الآليات والمسارات لدوران بعضها حول بعض، وعلى مستوى الذرَّة ومكوناتها من الجسيمات المتناهية في الصغر تُوجد قوانين ونُظُم يحار المرء في دقّتها واطِّراد سلوكها، وتأثيرها على ما يتكوّن منها؛ حتى يتملّك المرءَ عند تدبُّرها يقينٌ راسخٌ لا يخالجه شك أنَّ للكون خالقًا واحدًا عظيمًا حكيمًا ﴿أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، و﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، وأنّه لم يَخلُق هذا الكون بهذه التفاصيل والقوانين إلا لغاية عظيمة، وأنّه لم يمنحنا المواهب العقلية والقدرات الفكرية ويُطوّع لنا الأدوات المادّية إلا لنتفكّر في بديع صنع الله وعجيب خلقه، وليقودنا ذلك إلى الإيمان به والتسليم له.

تأمَّل كيف يُنبِّهنا الله تعالى إلى مفاتيح التفكُّر والتدبُّر في المخلوقات الأرضية والأجرام السماوية، فيقول في كتابه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٦-٤٠].

بل يلفت الله تعالى انتباهنا إلى ثلاثة اتجاهات للتدبّر في سياق واحد: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٢] ليؤكّد لنا أنّ خلق

البشر -بما يتضمّنه من بنية مادّية وأعضاء ذات وظائف، ونفس ذات مشاعر وانفعالات، وروح لا يعلم عنها البشر إلا وُجودها- لا يقلُّ عن خلق الأرض والسماوات في إحكامه وإتقانه ودلالته على الخالق الواحد الأحد.

ثم يؤكّد الله تعالى للبشر أنّ كلّ ما عَلِمَه الأولون والآخرون وكلّ الاكتشافات والقوانين والنظريات التي عَلِمها البشر لا تساوي أمام ما جهلوه شيئًا يذكر ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

من القوانين الضرورية التي يدلّ عليها المنطق السليم ويؤكّدها العلم السديد: أنّ التوازن ضرورة لاستمرار الحياة وانتظام الخلق، وأنّ في الكون من التنوّع ما يجعله متّسقًا لا يطغى فيه جانب على جانب

التوازن ضرورة للانتظام:

من القوانين الضرورية التي يدلّ عليها المنطق السليم ويؤكّدها العلم السديد: أنّ التوازن ضرورة لاستمرار الحياة وانتظام الخلق، وأنّ في الكون من التنوّع ما يجعله متّسقًا لا يطغى فيه جانب على جانب.

وخَلْقُ اللهِ كله مقدّر متقن موزون، في السماوات والأرض، وفي حركة النجوم والكواكب، وفي تقلبات الليل والنهار، وتعاقب الصيف والشتاء، وتتابع المطر والقحط، وفي حياة اليابسة والبحار، وهكذا نرى في الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وتصريف الأمور وتقدير الأقدار.

وبالمقابل: جاءت التكاليف الشرعية متوازنة أيضًا، مراعية للإمكانات والظروف والأحوال، فالفقير لا يُطالب بما يُطالب به الغني، والمسؤولية تزيد كلّما علا شأن الشخص، والأجر على قدْر المشقة، والله لا يُعذب الخلق حتى تقوم الحجة عليهم. ومثل ذلك: الأمر بالموازنة بين أمور الدنيا والآخرة، وإعطاء كل ذي حق حقه.

مبدأ الزوجية في الكون:

من بديع صنع الله تعالى وحكمته أنْ خَلَقَ هذا الكون من أجناس مختلفة، ونظّم العلاقة بينها وجعلها قائمة على التكامل والتوازن في الخلق والوظيفة؛ بما يكمّل بعضها بعضًا، ويحافظ على استمرار الحياة وسيرها بطريقة صحيحة، من أعظم المخلوقات من بحار وأنهار، وسهول وجبال، إلى أصغرها من مخلوقات وأحياء دقيقة، وما بينهما من حيوانات ونباتات وجمادات، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن أعظم ما يشير إلى بديع الخلق هذا: خَلْقُ الأزواج، فإنَّ الله تعالى قد خلق من كلِّ شيءٍ زوجين اثنين كما قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فنظام الزّوجيّة في الخلق متأصِّلٌ في جميع المخلوقات، وهي محكومةٌ به، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

والزوجيّة تشمل جميع المخلوقات حتى الجمادات غير الحيّة، وهو ما كشفت عنه الدراسات والعلوم الحديثة من عالم الذرة ونحوها، كما قال تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ومن اجتماع الزوجين تنشأ الحياة، وتتكون المادّة، «وقوله: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ فبيّن أنّ كلَّ ما في العالم زوجٌ من حيث إنّ له ضدًّا أو مثلاً ما، أو تركيبًا ما، بل لا ينفكُّ بوجه من تركيب، وإنّما ذكر ههنا (زوجين) تنبيها أنَّ الشيء وإن لم يكن له ضدٌّ ولا مثلٌ فإنّه لا ينفكُّ من تركيب جوهرٍ وعَرَضٍ وذلك زوجان»[(١)].

ففي خلق الإنسان: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦]، وفي خلق الحيوان: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، وفي النبات: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣].

يقول سعيد النورسي: «يُشكّل الجسم والنفس أو الظاهر والباطن في الكائن الحيّ وحدة واحدة وكيانًا موحّدًا، ظاهر الانسجام متقن السبك، دقيق الصنعة جميل الإبداع، ومن امتزاجهما معًا وذوبان أحدها في الآخر، وتبادلهما المؤثرات والتأثيرات: أخذًا وعطاءً، جوعًا وشبعًا، ريًّا وظمأً، وصحّة ومرضًا، حزنًا وفرحًا، مسرّةً وألمًا؛ يرتسم كيان هذا الكائن، وتبرز معالمه، وتتحدّد صفاته، وتتشكّل سماته وملامحه»[(٢)].

فالزوجية موجودة في كلِّ نظام الكون صغيرِه وكبيرِه، جمادِه وحيِّه، فهي سُنة اللَه تعالى في خلقه.

(١) غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٢١٦/١).
(٢) رسالة الطبيعة، لبديع الزمان النورسي، ص (١٩).

خلق الله للبشر من نفس واحدة أدعى للتكامل والانسجام والتواؤم بينهم، لما بين الاثنين من جنسٍ واحدٍ من الإلف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر

التكامل في خلق الإنسان:

جعل الله عز وجل الإنسان زوجين ذكرًا وأنثى، وأبدع في خلقهما؛ ليكونا مناسبين لبعضهما، ويكمّل كلّ منهما الآخر، وتستقيم لهما الحياة، وتتحقق بهما عمارة الأرض. وشرع لهما تشريعات تضبط العلاقة بينهما، وتحفظ حقوق كلّ منهما.

١. فقد خلق الله البشر من نفس واحدة، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، وقال جل في علاه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦].

وهذا أدعى للتكامل والانسجام والتواؤم بينهم، «تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن»[(١)]، وليكون بينهم استقرار وسكن، «وذلك لما بين الاثنين من جنسٍ واحدٍ من الإلف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر»[(٢)].

٢. والله تعالى كرّم الإنسان ذكرًا كان أو أنثى، فقال جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وأشاد القرآن بالمؤمنين من الرجال والمؤمنات من النساء، وجعل لكل منهما حقوقًا وواجبات، ولكل منهما أن يطالب بحقّه، وعليه أن يؤدّي واجبه، كريمًا محترمًا مقدّرًا.

٣. ولأن الميل بين الذكر والأنثى طبيعي يدركه كلُّ أحد، ولا يحتاج إلى إثباته أحد؛ فقد نظّم الله العلاقة بين الرجل والمرأة، وجعل الزواج طريقها الوحيد، وجعل بين الزوجين مودّة ورحمة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]؛ «فهما يتوادّان ويتراحمان، وما شيءٌ أحبَّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحمٍ بينهما»[(٣)].

٤. وكلّف الرجل والمرأة بعبادة الله تعالى، وهذه العبادات تشمل جميع الطاعات بما فيها الزواج نفسه وما يحقّقه من حفظ الدين والنفس والنسل، مرورًا بتربية الأبناء والقيام على الأسرة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وحثَّ على التعاون في ذلك كلِّه، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته)[(٤)].

٥. واستخلفهما في الأرض وأمرهما بعمارتها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ فالخليفة هو الإنسان ذكرًا كان أو أنثى، ولكلّ منهما مهمّته في عمارة الأرض تكمّل مهمّة الآخر.

٦. وأمرهما بالسعي للآخرة، ووعدهما بالأجر العظيم، وهذا الجزاء مرتبط بالعمل لا بالجنس أو الشكل أو اللون؛ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

زوّد الله كلًّا من الرجل والمرأة بخصائص وقدرات تمكّنه من القيام بما أسنده إليهما من أدوار، ونظّم العلاقة بينهما بالعديد من التشريعات التي توضح حقوق كل منهما وواجباته، وتنظم قيامهما بالأدوار الخاصة، والأهداف العامة المشتركة

تنوّع في الأدوار واتّحاد في الأهداف:

إنّ الاختلاف في خلق الإنسان بين الرجل والمرأة يؤدّي إلى اختلافات حقيقية بينهما في البنية الجسمية والتفكير والعاطفة وغيرها؛ مما ينعكس على اختلافات واقعية في طبيعة الأدوار المسندة إليهما، مع بقاء الأهداف العامّة لهما واحدة كما

(١) تفسير السعدي، ص (٦٣٩).
(٢) تفسير الزمخشري (٤٧٢/٣).
(٣) تفسير البغوي (٢٦٦/٦).
(٤) أخرجه أبو داود (١٣٠٨).

وجوه التكامل بين الرجل والمرأة في التصور الإسلامي

تقدّم، وهذا هو مقتضى التأكيد الإلهي على هذا الاختلاف: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقد زوّد الله كلًّا من الرجل والمرأة بخصائص وقدرات تمكّنه من القيام بما أسنده إليهما من أدوار، ونظَّم العلاقة بينهما بالعديد من التشريعات التي توضح حقوق كل منهما وواجباته، وتنظم قيامهما بالأدوار الخاصة، والأهداف العامة المشتركة.

فإعمارُ الأرض والحفاظ على النسل الإنساني وظيفةٌ لا يقوم بها الرجل أو المرأة منفردين، بل لا بدَّ من تكاملهما وتعاونهما في ذلك، وبذلك جاءت الاختلافات والتشريعات:

- فما تتطلّبه الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وحماية ورعاية منوطٌ بالرجل؛ ولذلك زوده الله تعالى بالقوة الجسمية والاستعداد النفسي للعمل والكسب والإنفاق، وجعله رئيس العائلة والقائمَ عليها، وشرع له من الأحكام -في جانب العبادات والمعاملات وغيرها من جوانب الحياة- ما ييسر عمله ويسهّل وظيفته.
- أما القيام بالعائلة وما يتضمّنه من حمل وولادة وإرضاع وتربية، ورعاية للأبناء والزوج فقد أُنيطت بالمرأة، وزوّدها الله بما يعينها على ذلك من قوى جسمية ونفسية، وشرع لها من الأحكام -في جوانب العبادات والمعاملات وسائر جوانب الحياة- ما ييسّر قيامها بهذه الأدوار.

وعن هذا الأصل تفرعت سائر الأحكام والمسائل المتعلّقة بكلٍّ من الرجل والمرأة.

وقد أمر الله تعالى كلًّا من الرجل والمرأة بالرضا بما قسمه الله لهما من العطاء والميزات التي ليست للآخر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]، فالنهي المذكور «عن أن يتمنّى بعضهم ما فضّل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة... تمنّيًا مجرّدًا؛ لأنّ هذا هو الحسد بعينه: تمنّي نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويُسلب إياها! ولأنّه يقتضي السخط على قدر الله، والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب. وإنّما المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، وأن يسأل الله تعالى من فضله، فلا يتّكل على نفسه ولا على غير ربّه»[1].

(١) تفسير السعدي، ص (١٧٦).

الصراع موجود وهو صراع حقيقي وقديم؛ لكنّ أطرافه ليسوا الرجل مع المرأة، ولا العلم مع الدين، ولا الدولة مع الشعب، ولا الإنسان مع الطبيعة، بل له طرفان: الحقُّ والباطل، أمّا الرجل والمرأة فقد خُلقا لينسجما ويتكاملا لا ليخوضا الحروب والصراعات

الصراع بين الرجل والمرأة فكرة مصطنعة:

إنّ ما يشهده العالم منذ عقود من حركات ودعوات «للمساواة» بين الرجل والمرأة، وتحطيم الفوارق بينهما، وإنكار خصوصيّة كلٍ منهما إلى درجة الدفع بكلّ طرفٍ لتمثّل صفات الطرف الآخر؛ إنّما هي جزء من فلسفة تقوم على النظر للعالم على أنّه ميدان صراع: صراع العلم مع الدين، والدولة مع الشعب، والإنسان مع الطبيعة، والرجل مع المرأة، وهكذا.. صحيح أنّه ثمّة صراع حقيقي وقديم؛ لكنّ أطرافه ليسوا هؤلاء، بل له طرفان: هما الحق والباطل، أمّا الرجل والمرأة فقد خُلقا لينسجما ويتكاملا لا ليقيما الحروب والصراعات.

جذور فكرة الصراع:

تعود بذرة هذه الفكرة إلى الانحراف الفكري حول النظرة إلى المرأة؛ فالأديان الوضعية المنحرفة، والعديد من الحضارات على مرّ التاريخ كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية، فهذا أفلاطون يرى أنّ البشرية تنقسم إلى جنسين: «الجنس الأعلى، أو الرجال الذين تألّف منهم الخلق الأصلي الذين استطاعوا قهر شهواتهم وأصبحوا فضلاءَ على الأرض، وجنسٌ آخر (أدنى) وهم الجبناء والأشرار الذين فشلوا على الأرض، وهم الذين سيعاقبون بأن يولدوا نساءً!! وعلى إثره جاء تلميذه أرسطو ليرسم صورة للمرأة ملخّصها أنّها «ذكرٌ مشوّه لم يرقَ بعدُ لأنْ يكون إنسانًا».

بل إنّ هذه الأفكار المنحرفة وصلت للمعتقدات الكنسية وحرّفتها، فنجد في الكتاب المقدّس المحرّف أنّ المرأة هي الغواية التي أخرجت آدم عليه السلام من الجنّة، وهي التي تسبَّبت للبشرية في حمل هذه الخطيئة وآثارها، وبالتالي فإنّه يجب تهميش المرأة التام عن أي دور محوري في هذا العالم، وإخضاعها المطلق لسلطة الرجل[1]، وكانوا يرون أنَّ المرأة إذا تفرَّغت لخدمة الكنيسة فإنَّها ترتقي لتصبح رجلاً!![2].

وقد تأثّر الفلاسفة النصارى بهذه الأفكار فأصبحوا يرون المرأة «كائنًا جسديًّا غير عقلاني بالمرة» كما قال ديكارت، فيما يقول جان جاك روسّو: «إنّ الطبيعة الأنثوية تنحصر في غرضي الجنس والإنجاب، في حين أنّ الطبيعة الذكورية تتّسم بالقدرة العقلية اللامحدودة بين العقل والمادة».

ومع ظهور الثورة الأوروبية على الطغيان الكنسي والملكي، وتلمُّسها للمعرفة خارج إطار الدين المعادي للعقل والعلم، وما تبع ذلك من انهيار المسلَّمات المعرفية، والانطلاق إلى تأسيس الحياة والعلوم والمعارف بعيدًا عن هدي الدين، فظهرت النظريات المختلفة في السياسة والاجتماع والاقتصاد، وتفسير نشأة الكون وتطور الإنسان، وما يتعلق بذلك من مسائل أخلاقية وفكرية، ظهرت نظرياتٌ متناقضة منفلتة من أي ضابط أو مرجعية، تؤلِّه الإنسان وعقله وعلمه وشهواته، متأثرة في ذلك بما عاشه في الماضي من ظلم وتمييز، مدفوعةً للتخلُّص من تلك الأغلال والقيود وما يتعلق بها.

ومن تلك النظريات: التفسير الماديُّ للكون والحياة والتاريخ، والنظرة للإنسان نظرةً حيوانيةً مادية، وتفسير الكون وأحداثه على أنه سلسلة من الصراعات والنزاعات للبقاء وانتزاع الحقوق.

ومما تأثر بذلك الحراك: المسائل التي تتعلق بالمرأة، والتي ابتدأت بالمطالبة بحقوقهنّ ورفع الظلم عنهنّ، ورفض المكانة التي وضعتها فيها الفلسفات المختلفة، والأديان المحرَّفة، والتي تطوَّرت إلى الدعوة للخروج عن سلطة الرجل وما سموه بالتسلُّط الذكوري، والانطلاق في سباق محموم لمنافسة الرجل، لتتحوّل بعد ذلك إلى محاولة للسيطرة عليه وقهره وأخذ مكانه ودوره في المجتمع، في شكل متطرف من أشكال الصراع.

أمّا التأثير المجتمعي لهذا الصراع فيتمثّل بعدد كبير جدًا من هذه الكوارث، ففضلاً عن خلط الأدوار الفطرية للرجل والمرأة، والدعوة للجندر وحق تغيير

(١) كان بولس يعتبر المرأة أقل منزلة من الرجال، وكان مما قاله: «لا أسمح للمرأة أن تعلم ولا أن تغتصب السلطة -من الرجل- ولا تتسلط، وعليها أن تبقى صامتة، لأن آدم كون أولاً ثم حواء، ولم يكن آدم هو الذي انخدع بل المرأة انخدعت، فوقعت في المعصية». الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (١٤-١٢/٢).

(٢) جاء في تعليق جيروم على رسالة بولس إلى أهل أفسس: «بما أن المرأة خُلقت للولادة والأطفال، فهي مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح، ولكن عندما ترغب المرأة في خدمة المسيح أكثر من العالم، فعندئذ سوف تكف عن أن تكون امرأة، وستسمى رجلاً».

الجنس، والترويج للشذوذ والانحلال الأخلاقي، فهناك: هدم الأسر القائمة، والتسبب بعزوف الرجال والنساء عن الزواج، وشيوع البطالة لدى الشباب، وانشار الجريمة، مع نشر الإلحاد لكونه الغطاء المناسب لمثل هذه الأفكار والتصرّفات.

ومن الغرائب في هذا الصراع المصطنع: افتراضات أسطورية لا يدلّ عليها دليل، ولا يؤيّدها منطق، تفترض تطورًا تاريخيًا مرّت به المجتمعات (البدائية)، كانت السيطرة فيه للنساء (تحت ظلّ نظام أمومي)، ثم مع الزمن حلّ محلّه نظام آخر (أبوي) بزعمهم[1].!! والهدف من هذه المزاعم: تثبيت فكرة الصراع بين الرجل والمرأة، وكسر ما يعتبرونه سيطرةً للرجل على جوانب كثيرة في الحياة.

بغير نظرة التكامل بين الرجل والمرأة تضطرب الحياة وتنتكس الفطرة؛ فإنَّ الصراع بين الرجل المرأة سينتهي إما بتسلُّط الرجل على المرأة ومزيدِ الاضطهاد لها، أو بتمرُّد المرأة على الرجل والخروج عن طبيعتها وأنوثتها

الخلاصة:

إنَّ خلاصة النظرة الصحيحة الشرعية للرجل والمرأة في هذه الحياة -والتي جلاها الإسلام- نابعة من النظرة العامة للكون: وهي الخضوع لله تعالى وأمره، والتعاون والتكامل بينهما لتحقيق ذلك، مع أخذ كل منهما مكانه اللائق به، ومن المؤكَّد أنّه لا توجد شريعة على وجه الأرض جلّت هذه الحقيقة كما فعل الإسلام. ولا يوجد مخرج من هذا الصراع وآثاره ومما تعانيه المرأة إلا بتطبيق شرع الله تعالى.

وهذه النظرة يُجملها قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وهذا التنويع في الخصائص والتقسيم في الأعمال ليس لأحدٍ فيه فضل، كما أنه ليس لأحدٍ تغييرُه أو تعديلُه؛ فقد نهى الله عن أن يتمنّى أحد منهم أن يأخذ مكانًا لآخر أو يكونَ مثله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

وبغير هذه النظرة تضطرب الحياة وتنتكس الفطرة؛ فإنَّ الصراع بين الرجل المرأة سينتهي -كما هو مُشاهَد- إما بتسلُّط الرجل على المرأة ومزيد الاضطهاد لها، أو بتمرد المرأة على الرجل والخروج عن طبيعتها وأنوثتها.

(١) مفهوم النسوية، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، لأمل الخريّف، ص (١٠٢-١٠٤).

هل يوجد في الإسلام نظام حُكْم؟

د. عماد الدين خيتي(*)

يردِّد البعض مقولات يظنُّ فيها نصرةً للإسلام، أو دفاعًا عنه، أو التقاءً مع مشتركاتٍ إنسانية مع غير المسلمين، كمقولة: إنه ليس فيه نظامٌ للحكم، دون فحصٍ لهذه المقولة أو نظرٍ في مدى صحَّتها، أو الوعي بمآلاتها ونتائجها.

مدخل:

من العبارات التي يردّدها البعض في الحديث عن المسائل السياسية: أنّ الشريعة الإسلامية لم تأت بنظام محدد للحكم، وإنّما جاءت بمبادئ عامّة، وقواعد كلّية، وخطوط عريضة وقيم ذات صبغة إنسانية، والمسلمون طوال تاريخهم لم يهتدوا لنموذج محدّد للحكم الرشيد؛ مما يجعل الباب مفتوحًا للبحث عن نظام مناسب للحكم من الأنظمة التي تتوصّل لها البشرية، وأنَّ أيّ نظام يحقّق تلك المبادئ والقيم فهو نظام إسلامي شرعي.

ويستدلّون على ذلك: بأنّ العديد من المكونات التي تدخل في «نظام الحكم» -كالشورى وأهل الحلّ والعقد- بقي غامض المعنى والمدلول والتطبيق[1]؛ بسبب عدم وجود مؤسّسات خاصّة به، أو تفاصيل لعمله في النصوص الشرعية، بالإضافة لتوقّف العمل به أو عدم ظهور أثره في أزمنة كثيرة على مرّ التاريخ؛ مما يجعله ضمن نطاق المبادئ العامة والقيم والقواعد الكلّية، لا النظام.

والمقالة التي بين أيدينا لمناقشة هذه المقولة.

المقصود بالنظام في السياسة:

يُطلق مصطلح النظام السياسي ويقصد به أحد ثلاثة أمور[2]:

(*) باحث ومتخصص في الدراسات الإسلامية، نائب رئيس مجلس الإفتاء في المجلس الإسلامي السوري.

(1) من أشهر من تحدّث عن ذلك: علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) في العديد من المواضع، واصفًا ذلك بالغموض والإبهام، و(الفطرية). كما قرّر ذلك: محمد عابد الجابري في كتاب (الدين والدولة وتطبيق الشريعة)، ص (٢٧)، مدّعيًا أنّ النموذج الذي أقامه هو (الأمير على الحرب)!

(2) ينظر: الأنظمة السياسية والدستورية المشتركة، د. حسان العناني، ص (١٢-١٤)، والنظم السياسية الحديثة والسياسات العامة، د. ثامر الخزرجي، ص (٢١-٢٧)، ونظام الحكم في الإسلام، د. محمد العربي، ص (٢١).

الأول: مجموعة الأحكام التي يتّفق شعب ما على الالتزام بها وتنفيذها لتنظيم حياتهم المشتركة.

الثاني: مجموعة المؤسّسات السياسية التي تترابط فيما بينها وتكوّن الجهاز التنفيذي في الدول بما يشمله من أجهزة تشريعية ورقابية وقضائية وتنظّم عملها.

والنظام السياسي بهذا يشمل جميع المسائل الدستورية والقانونية والمؤسساتية، بل والمبادئ والأعراف الاجتماعية والاقتصادية، فهو «مجموعة تفاعلات، وشبكة معقّدة من العلاقات الإنسانية تتضمّن عناصر القوّة أو السلطة أو الحكم»[1].

الثالث: حيث يَقصد به البعض القوانين والتشريعات التي تصدرها المؤسّسات الحكومية أو غير الحكومية وتطبّقها لضبط وتنظيم مختلف الأعمال والسلوكيات. وهي ما يُطلق عليها اسم الأنظمة أو التنظيمات، فيقال: نظام التأمين الصحي، ونظام العمل، ونظام الإقامة والجنسية، ونحو ذلك.

وقد امتدّت هذه التنظيمات لتشمل مختلف جوانب الحياة، فلا تكاد توجد مؤسّسة مهما صغرت أو كان نشاطها إلا وتحوي أنظمة ولوائح تنظّم أعمالها وأوضاعها. ولعل شيوع هذه التنظيمات من أوجه تميّز هذا العصر عما سبقه من العصور في أمور الإدارة.

> **من كمال الشريعة وجمال بنيانها؛ أنّ ما كان متغيرًا بتغيّر الزمان والمكان والأحوال فقد جاءت به الشريعة بإجمال دون تفصيل، ووضعت له قواعدَ وأُطرًا عامّة، وتركت تفاصيله للناس، والتنظيماتُ والقوانينُ الإجرائية التفصيلية هي من هذا القبيل**

ما نوع «النظام» الذي ينفونه عن الإسلام؟

مقولة: «إنّه ليس في الإسلام نظام حكم» تحتمل عدّة معانٍ:

المعنى الأول: أن يقصدوا بالنظام: القوانين والأنظمة الإجرائية والأمور الإدارية التي تُفصّل عمل المؤسّسات والوزارات ومختلف مفاصل الدولة، مثل: نظام التعليم، ونظام العمل، ونظام المرافعات القضائية، ونظام المرور، ونحو ذلك.

وبهذا المعنى: لا تُوجد قوانين إجرائية تفصيلية تنفيذية في الإسلام، بل ولا في غيره من أنظمة الحكم الوضعية كالأنظمة الديمقراطية أو الشمولية، سواء في السياسة أو الاقتصاد أو القضاء وغيرها؛ لأنّ الأنظمة الإجرائية تتغيّر بتغيّر الظروف والأحوال وأوضاع الناس، فوضع قالب معيّن للناس في شؤون حياتهم لا يمكن أن يناسب إلا جيلاً أو جيلين، وفي أماكن محدودة، بينما يكفي وجود أسس وقواعد وتشريعات عامّة يتحقّق بها المقصود، وهو ما جاء به الإسلام.

وفي المناظرة الشهيرة بين ابن عقيل وأحد الفقهاء قال ابن عقيل: «إن أردت بقولك «لا سياسة إلا ما وافق الشرع» أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة»، ثم علّق عليها ابن القيم رحمه الله تعليقًا مهمًّا مؤيدًا هذا المعنى وشارحًا له[2].

والشاهد: أنّ عبارة (لا سياسة فيما خالف الشرع) تترك مساحة واسعة للاجتهاد والتطوير في المستقبل عند تبدّل الظروف وتجدّد الأحداث، أمّا عبارة (لا سياسة إلا ما نطق به الشرع) فإنّها لا تراعي ذلك.

وهذا من كمال الشريعة وجمال بنيانها؛ فإنّ ما كان متغيرًا بتغيّر الزمان والمكان والأحوال جاءت به الشريعة بإجمال دون تفصيل، ووضعت له قواعدَ وأطرًا عامّة، وتركت تفاصيلها للناس، والتنظيماتُ والقوانينُ الإجرائية التفصيلية هي من هذا القبيل.

ومن أمثلة ما يتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والأحوال: تنظيم عملية اختيار وتعيين الحاكم، وتنظيم عمل مؤسّسات الحكم، ونحوها.

المعنى الثاني: أن يقصدوا بالنظام: المرتكزات العامة، والتشريعات والقوانين الأساسية التي تسير عليها الدولة في كافّة مفاصلها، كالتشريعات الاقتصادية والقضائية والجنائية ونحوها، فمَن نفى وجود نظام في الإسلام بهذا المعنى فهو غير مدرك لحقيقة الشريعة الإسلامية ومضامينها!

فقد جاءت الشريعة بنظام متكامل للحياة الإنسانية، يشمل جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والإدارية وغيرها، ففي الشريعة نظام للعلاقة بين الناس على اختلاف أحوالهم، ونظام

(١) أصول النظم السياسية المقارنة، د. كمال المنوفي، ص (٤٠).
(٢) الطرق الحكمية، لابن القيم (٢٩/١).

للأموال وتداولها، ونظام للجنايات والعقوبات... إلخ، وفيها نظام يحدّد الأُطر العامّة لإدارة ذلك كلّه من العدل والشورى وغيرهما، وتركت مجالاً للاجتهاد في تفاصيل هذه النُظُم بحسب تغير الزمان والمكان والحال.

على أنّ ما تركت الشريعة تفصيله فهو من الشريعة كذلك؛ إذ إنّ المسكوت عنه لم يتركه الله تعالى جهلاً به ولا نسياناً، بل ترك تفصيل أحكامه رحمة بالناس ليجتهدوا فيها وفق الضوابط الشرعية العامة عند الحاجة إليها، (وسَكَتَ عن أشياءَ رحمةً لَكُم غيرَ نسيانٍ)، فحقيقة الاجتهاد في هذا المباح أنّه داخل في عبودية الله تعالى والعمل بشرعه إلى جانب العمل بالأوامر والامتناع عن النواهي؛ فهو الذي أتاح له حرّية الاختيار شرعًا وقدرًا.

وهذا لا يعني خلوّ الشريعة من تشريعات وقوانين جزئية تفصيلية ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والحال؛ لارتباطها المباشر بأصول الحكم في الإسلام والذي تتحقّق به العدالة ومقاصد التشريع الأخرى، ففي الإمامة وضعت شروطًا للإمام ومنعت تولّي غير المسلم للولايات العامة. وفي القضاء بيّنت وسائل الإثبات وصلاحيات القاضي وخصوصياته. وفي العلاقات الدولية أباحت المعاهدات وإعطاء الأمان والدخول بتحالفات بشروط. وفي الموارد المالية فرضت الزكاة على المسلمين والجزية على غيرهم، ونظّمت بيت المال، وموارده ومصادره. وفي باب الوظائف اشترطت تعيين الأكفأ، ومنعت قبول الموظف للهدايا. وفي باب الرقابة على السوق حرّمت الاحتكار ومنعت التسعير إلّا في نطاق معيّن. وفي باب العقوبة سنّت عقوبات مقدّرة كالحدود والقصاص، وتركت باب التعزير في غيرها لاجتهاد القاضي. وفي باب الجهاد نظّمت الغنائم وحدّدت موجبات الجهاد وأحكام التعامل مع الأسرى وأموال الحربيين. وفي المواطنة حدّدت علاقة المسلمين بغيرهم من أهل الذمّة، وحقوق وواجبات أهل الذمّة. هذه جملة من الأبواب، مثّلنا لكلّ باب برموز مسائلَ منها، وهذه المسائل موضّحة مؤصّلة في النصوص الشرعية، وقد عمد أهل العلم إلى ترتيبها وتقعيدها وشرحها في كتب السِّيَر وشروح الأحاديث والتفاسير والكتب الفقهية، ثم أُفردت بمؤلفاتٍ خاصّة بالسياسة. ثم يأتي من يقول: لا يوجد نظام سياسي في الإسلام!

تركت الشريعة للناس مجالاً للاجتهاد في تفاصيل الأنظمة وقوانينها الإجرائية بحسب تغيُّر الزمان والمكان والحال رحمةً بهم، وما تركت تفصيلَه فهو من الشريعة كذلك؛ فحقيقة الاجتهاد أنّه داخل في عبودية الله تعالى والعمل بشرعه؛ فهو الذي أتاح له حرّية الاختيار شرعًا وقدرًا

إنّ مجرّد القول بأنّ الشريعة الإسلامية لم تأت بنظام حكم واضح لا يعدو كونه شبهة لا أساس لها من الصحّة، أسهم في بثّها وترويجها المستشرقون الذين تجاهلوا الحضارة الإسلامية التي امتدت أربعة عشر قرنًا من الزمان، والدولَ القوية التي نشأت خلالها وسادت جزءًا كبيرًا من جغرافيا العالم، لدرجة أنّ الجامعات والمناهج التي تدرِّس النظريات والنظم السياسية اليوم تنتقل من النظريات السياسية التي كانت في حضارات الهند ومصر وفارس واليونان إلى النظرية السياسية في أوروبا متجاوزة النظرية السياسية في الإسلام؛ إمعانًا في تجاهلها والغضّ منها واستبعادها[1].

المعنى الثالث: أن يقصدوا بالنظام مؤسسات الدولة المختلفة، كمؤسسة الحكم، ومؤسسة الجيش، ومؤسسة الاقتصاد، ونحوها، ونفي وجودها غير صحيح أيضًا، فهذه المؤسسات موجودة منذ فجر الحضارة الإسلامية وإن لم تسمّ بالأسماء الجديدة المستخدمة اليوم.

على أنّ النظام بهذا المعنى هو في الحقيقة من «مسائل التدبير» كما كان يسمّيها الفقهاء، وهي خاضعة للأصول العامّة التي قام عليها نظام الحكم في الإسلام، ومتروكة في تفاصيلها لما يستجدّ للمسلمين ويحتاجونه؛ لذا فإنّ الخليفة الراشد عمر ﷺ والذي ابتدأ حكمه بعد وفاة النبي ﷺ بأقلّ من ثلاث سنوات يطوّر من النُظُم الإدارية والمالية والعسكرية للحكم وينشئ الدواوين، ويطوّر نظامه استجابة لتوسع الدولة وحجمها، مستفيدًا من تجارب الآخرين ومستندًا إلى أصول ومبادئ نظام الحكم في الإسلام.

(١) حيث يذكر بعض من يقول بأنه لا نظام حكم في الإسلام بأن السياسة الشرعية ظلت في تاريخنا الإسلامي دون تطوير لاصطدامها برغبات الحكام، وعدم قدرة الفقهاء على تطوير الأساس النظري للنظام السياسي الإسلامي، ومع اختلاف أوضاع هذا الزمان وظروفه عن الأزمنة السابقة، وتوفر خبرات سياسية كثيفة وراقية لدى العالم؛ فإنه لا بد لأمتنا أن تستفيد من تلك الخبرة في تطوير حياتها السياسية عن طريق الاجتهاد والاقتباس!

خطورة دعوى عدم وجود نظام حكم في الإسلام

١ نزع حق التشريع الإلهي عن السياسة في الإسلام، وتأسيس الأحكام على أساس وضعي

٢ تغيير وتعطيل كثير من الأحكام الشرعية بحجج التجديد والمعاصرة وغيرها

٣ تغيير البنية الثقافية للمجتمع المسلم وهويته من خلال التغيير في البنية التشريعية والقانونية

٤ الرضوخ للهجمة العَلمانية على الإسلام، وتفريغ تشريعات الإسلام من مضامينها

٥ فقدان النموذج الحضاري الإسلامي والتحوّل من موقع التصدير والتأثير إلى الاستيراد والتأثّر

> **مسألة آلية اختيار الحاكم، وتحديد مدّة حكمه، وأمثالها، هي من المسائل التنظيمية الإجرائية التي تركتها الشريعة لاختيار الناس، فلو قيل: لا يوجد في الشريعة آليةٌ معيّنةٌ واجبة الاتِّباع لاختيار الحاكم وتنصيبه لكان الكلام صحيحًا، أمّا قولهم: إنّه لا يوجد نظام للحكم في الإسلام فهو خطأ واضح**

خطأ في تصور المسائل المتعلّقة بالحاكم:

كثير ممن يقولون: إنّه لا يوجد نظام حكم في الإسلام، يقصدون به مسائل تتعلق باختيار (أو انتخاب) الحاكم، وآليَّتها، ومدّة حكمه، وتسمية منصبه هل هو رئيس أو أمير أو غير ذلك؟ ويقصدون من هذا النفي: أنّه لم يأت في الإسلام توضيحٌ لهذه المسائل وتفصيلٌ لها.

والناظر في هذه المسائل يجد أنّها مسائلُ فرعيةٌ ترجع لأصولٍ أكبرَ وأعمّ منها؛ فالأصول الكبيرة التي تتفرّعُ عنها هذه المسائل هي ما يُعرف في الفقه باسم «أحكام الإمامة»، وهذه الأحكام تتعلّق بشروط الحاكم وطريقة اختياره ومسائل الشورى وغيرها. فنفيُ الأصل العام والنظام بأكمله والمسائل المتعلقة به بناء على حديث عن أجزاء فرعيّة حادثة يمكن للعلماء أن يجتهدوا في بيان الحكم فيها لا يخلو من خلطٍ وجهل كبيرين!

فلو قال هؤلاء: إنّه لا يوجد في الشريعة آليةٌ معيّنةٌ واجبة الاتِّباع لاختيار الحاكم وتنصيبه لكان كلامهم صحيحًا، أمّا قولهم: إنّه لا يوجد نظام للحكم في الإسلام فهو خطأ واضح.

ثمّ إنّ هذه المسائل: (آلية اختيار الحاكم، مدّة حكم، تسمية منصبه...إلخ) هي من المسائل التنظيمية الإجرائية التي سبق الحديث عنها بالمعنى الأول من معاني النظام، وقد تركتها الشريعة للناس لينظروا فيها ويختاروا الأنسب والأصلح لهم حسب أحوالهم وزمانهم، أمّا المسائل التشريعية التنظيمية العامّة؛ فقد وضعت أسسها الشريعة ولم تتركها لاجتهادات الناس ومرئياتهم، ومن هذه الأسس:

- الشروط التي ينبغي أن تتوفّر في الحاكم حتى تصحّ توليته.
- أن يكون اختيار الحاكم برغبة الأمّة وقرارها مع إعمال الشورى، وتحريم التغلّب على الحكم.
- حقوق وواجبات الحاكم والرعية.

- الأحكام المتعلّقة بتصرّفات الحاكم وانتقاله من العدل إلى الجَور، ومن الاستقامة إلى المعصية، ومن الإيمان إلى الكفر، وكيفية التعامل معه من: مناصحة واحتساب وعزل.

ونحو ذلك..

أما المسائل التفصيلية الإجرائية لكلٍّ منها فلم تنصّ الشريعة عليها، وإنّما تركتها لاجتهاد الناس واختيارهم واتفاقهم.

وليس هذا بدعًا في السياسة، وإنّما هو عامّ في جميع الأنظمة؛ ففي المعاملات المالية الاقتصادية -مثلاً- لم يُفصِّل الشرع في أنواع المعاملات المباحة لكثرة أنواعها وتجدُّدها عبر الأزمنة والأحوال، وإنّما اكتفى بوضع قواعد ناظمة لهذه المعاملات، ثم جعل القاعدة الشرعية العامّة فيما يَستجِدُّ منها: الحِل والإباحة، مما مكَّن المسلمين في العصور اللاحقة من إعمال الاجتهاد والقياس على آلاف المعاملات، وإصدار التنظيمات التفصيلية لها، ولا يمكن لأحد بناءً على ما سبق أن ينفي وجود نظام اقتصادي إسلامي! وعلى هذا يمكن القياس على بقية الأنظمة (الاجتماعية، والقضائية، وغيرها). فجعْلُهم عدمَ تشريع هذه الإجراءات التفصيلية والنصِّ عليها دليلاً على عدم وجود نظام في الإسلام خطأٌ بيّنٌ.

> **ليس الأمر بالنسبة للمسلمين في موافقة الأمم الأخرى بعموم مبادئ العدل أو الحرية أو غيرها، وإنّما في التشريعات والأحكام المفسّرة والمنظمة لهذ المبادئ، والتي تُميِّز الأمم عن بعضها، وترسم هوياتها الخاصة بها**

مبادئ وكليات لا تشريعات!

يذكر بعض من يُردد مقولة: «أنّه لا نظام سياسي في الإسلام» أنّ غاية ما جاء به الإسلام إنّما هو مبادئ وقيمٌ عامّة وكلّيات، من غير تفصيلات أو تشريعات جزئية، ومن هذه المبادئ والقيم المشتركة إنسانيًا: العدالة، والحرية، ونحوها.

وهذا القول غير صحيح لأمور:

١. أنّ هذا الادّعاء قائم على تصوّر أنّ المبادئ مجرّد عناوين عامّة لا تحوي تشريعات تفصيلية، وهذا خطأ واضح؛ إذ لا يمكن أن يُوجد نظام -ولو كان من صنع البشر- يحتوي على مبادئ فقط دون تفاصيل تشريعية أو قانونية، فهذه المبادئ والقيم لها تفسير مختلف عند كلّ أمّة، ولها في كلّ نظام قوانين تفصلها وتوضحها، وبذلك تختلف من أمّة لأخرى.

لذا فليس الأمر بالنسبة للمسلمين في موافقة الأمم الأخرى بمبدأ العدل ولا بمبدأ الحرية ولا غيرها، وإنّما الأمر في القوانين والأحكام المفسّرة والمنظمة لهذ المبادئ، والتي تُميِّز الأمم عن بعضها، وترسم هوياتها الخاصة بها.

فمن المتفق عليه أنّ هناك أحكامًا شرعيةً في سياق العدل مرفوضةً في ثقافات أخرى جملة وتفصيلاً، ومثلها في ميدان الحرّيات والحقوق؛ فكيف السبيل إلى تطبيق المبادئ والقيم؟ فإن قلنا: بما ينتجه البشر في تجاربهم وبما يبدعونه في تشريعاتهم فهذا خروج عن الشريعة، وإن قلنا: بأنّه لا سبيل إلى ذلك إلا بما ورد في الشريعة فقد بطل الادعاء من أصله ولزم القول الذي لا محيد عنه وهو أنّ الإسلام لم يقف فقط عند حدود المبادئ العامة والقيم الكلية[1].

فضلاً عن أنّ العباد مخاطبون بفروع الشريعة ومُتَعبَّدُون بأحكامها لا بمبادئها العامة ومقاصدها.

٢. أنّ هذا الادّعاء هو تصوّر مغلوط لا يدعمه الفهم الصحيح، فالشريعة الإسلامية جاءت بأنظمة في مختلف جوانب الحياة: القضائية والأسرية والمالية وغير ذلك، وهي في غاية التنظيم والتقسيم والتقعيد، وفتحت باب الاجتهاد في جوانب منها مراعاة للمستجدات والحوادث كما سبق بيانه، ولم تكتف بمبادئ أو قيم عامة خالية من التشريعات والأنظمة.

٣. على فرض أنّ الإسلام جاء بمبادئ وقيم عامة، فإنّ هذا يقتضي أن يجتهد المسلمون في استنباط تشريعات وتنظيمات من عموم الأدلة والأحكام الإسلامية لتطبيقها، وحينها ستكون تلك التشريعات والأنظمة من الشريعة بطريق الاستنباط وإن لم تأت بطريق النص؛ وذلك أنّ لكلّ نظام تشريعاته وتنظيماته الخاصّة به التي توضّحه وتبيّن كيفية تحقيقه وتطبيقه،

(١) شبهات حول الدولة الإسلامية، د. عطية عدلان، تحت الإعداد.

والتي تؤخذ من منظومته الفكرية والأخلاقية، وتكون متممّة له شارحة موضّحة، منسجمة مع بقية الأحكام والتشريعات فيه.

فمبادئ الرأسمالية لها أنظمةٌ وتشريعاتٌ وقوانينُ مأخوذةٌ من النظام الرأسمالي، وكذلك الشيوعية وغيرها، ومبادئ الإسلام وقيمه لابدّ أن تكون تشريعاتُها وتنظيماتُها وقوانينها مأخوذة من ذات الشريعة، ولا يصحّ بحال من الأحوال أن تُؤخذ من غيرها، وإلّا كانت منفصلة عنها، غير محقّقة لها.

٤. بهذا الادعاء ستكون سائر الأنظمة الوضعية والعلمانية «شرعية» ومرضية عند الله تعالى! فالمناداة بالعدل والكرامة ومنع الظلم والحرية والمساواة وغيرها تقول بها مختلف الأنظمة السياسة وتدّعي تطبيقها، على ما بينها من تناقضات واختلافات، فما الفرق حينها بين النظام الإسلامي وسواه من الأنظمة العَلمانية كالشيوعية وغيرها؟

فما الذي يمنع المسلم من التسليم للشيوعية بشقّها الاقتصادي رغم تأكيدها على تحقيق العدل والمساواة والعدالة الاجتماعية؟ وما الذي يمنعه من تقبّل العلمانية -على الصعيد الأسري- رغم زعمها الحرية والمساواة؟

٥. تؤدّي هذه المقولة إلى تعطيل النصوص الشرعية وما فيها من أحكام، وتفريغها من محتواها؛ لأنّه إن كان الهدف تحقيق هذه المبادئ والقيم ولم تأت الشريعة بتفاصيلها كما يُقال، فيحقّ لأيٍّ كان أن يحقّق هذه المبادئ بالأنظمة والتشريعات التي يراها، وحينها لن يكون ملزمًا بالأحكام الشرعية الواردة، وهذا عين قاعدة: (الغاية تبرر الوسيلة).

وستكون هذه الأنظمة الوضعية محقّقة لأعظم مقاصد الشريعة وغاياتها! وهذه دعوة لإلغاء الشريعة والخروج عنها باسم الشريعة!

وعلى سبيل المثال: فلو اغتصب شخص السلطة متغلبًا رغمًا عن إرادة الأمة ورضاها، ثم حكم بالعدل بين الناس، فينبغي أن يكون عمله بهذا المقياس شرعيًا صحيحًا لأنه حقق الهدف المطلوب ألا وهو إقامة العدل، بينما هو في الشرع آثم لتغلبه!

> **من أهم ما يُميِّز النظام السياسي الإسلامي الأساس الذي يقوم عليه: وهو العبودية لله تعالى، وإدراك غاية وجوده واستخلافه في الدنيا، فهو ليس جملةً من الأوامر والنواهي فحسب، بل رؤيةٌ شاملةٌ للوجود، ترسم للإنسان مكانته ودوره في الكون، وحدود علاقته بما حوله**

القيم الجوهرية للنظام السياسي الإسلامي:

من أهم ما يُميِّز النظام السياسي الإسلامي هو الأساس الذي يقوم عليه: العبودية لله تعالى في هذه الحياة، وإدراك غاية وجوده واستخلافه في الدنيا، فهو ليس جملة من الأوامر والنواهي فحسب، بل هي رؤية شاملة للوجود، ترسم للإنسان مكانته ودوره في الكون واختصاصه فيه، وحدود علاقته بما حوله، مما ينعكس على تعامله مع التوجيهات الربانية التي تأتيه.

إن إدراك المسلم لهذا التصوّر هو الذي يهيئه لبناء الأمّة الربانية، ويعطيه القدرة على القيام برسالته إلى البشرية جمعاء.

ومن هذا التصوّر تنبثق بقية المبادئ والقيم الخاصّة التي تميّزه عن غيره من الأنظمة، والتي تعدّ جوهره والأساس الذي يقوم عليه، كسيادة الشريعة، ووحدة الأمّة، وعالمية الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد ونحوها.

وهذه القيم الجوهرية هي الحاكمة والشارحة والمفصّلة للمبادئ والقيم التي يشترك النظام السياسي الإسلامي مع غيره من الأنظمة شكليًا في خطوطها العامّة؛ ولكنه يختلف معها في الحقيقة والتفاصيل، ومن جهة المراد النهائي منها وهو تحقيق العبودية لله عز وجل وسعادة البشر في معاشهم ومعادهم، مما يوضّح الاختلاف الكبير بين هذه الأنظمة، وفي تطبيقات التشريعات والقوانين التي تندرج تحتها.

ولا يصح بحال من الأحوال إغفال هذا التصوّر أو تهميشه، فلا بد من اعتبار مرجعية الشريعة في كلّ شيء، قال ابن تيمية: «ما من أمّة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم،

ويرون أنّ هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة»[١].

وأما العبارة المنتشرة بقولهم: (متى وجدت المصلحة فثَمَّ شرع الله)، أو (إذا ظهرت أماراتُ العَدل وأسفَرَ وجهُه بأي طريق كان فثَمَّ شرعُ الله ودينُه)[٢] فهي من العبارات المُشكلة التي لا بدّ من ضبط معناها.

قال الشيخ القرضاوي: «إذا كان بعض الناس يقول: حيث توجد المصلحة فثَمَّ شرع الله، فهذا صحيح فيما سكت عنه الشارع، وتَرَكَه لاجتهادنا وعقولنا. أما فيما عدا ذلك فالصواب أن نقول: حيث يوجد شرع الله فَثَمَّ المصلحة»[٣].

ما صحّة القول بأنّه لا يوجد برنامج سياسي لمن يقولون بوجود نظام سياسي في الإسلام؟

مما يستدلّ به مَن يطلق هذه المقولة عن نظام الحكم في الإسلام: أنّه لا يوجد برنامج سياسي واضح ومحدّد لمن يقولون بوجود نظام سياسي في الإسلام من الجماعات والأحزاب، وأنَّهم لا يملكون مشروعًا ولا خطّةً للاقتصاد والتعليم والخدمات وغيرها، وأنَّهم يختلفون بينهم في ذلك اختلافًا كثيرًا، وهذا يدلّ على أنّه لا يوجد نظام إسلامي للحكم متفق عليه!

ويجاب عن هذا: بأنّ البرنامج السياسي للحكم داخل ضمن المعنى الأول للنظام والذي سبق الحديث عنه، وهو ما تركته الشريعة لاجتهاد الناس، ثم إنّ عدم وجود برنامج سياسي محدّد عند حزب أو جماعة ما لا يعني عدم وجود نظام فيها؛ فالاختلافات بين برامج هذه الأحزاب والجماعات هي اختلافات إجرائية مما لا يخلو منه حزب ولا جماعة في أيّ مكان في العالم، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تتطابق أو تتماثل فيها.

فالأحزاب والجماعات وبرامجها السياسية هي من ضمن الأساليب والوسائل التي يدخلها الاجتهاد ويحكمها الوسع والاستطاعة، وهي مما يتنافس به الناس ويتباينون، ويلجؤون فيه لسلطان الأمة للحسم، وليست هي أحكام الشريعة نفسها، ولا هي نظامها الرباني.

ثم إنّ البرامج السياسية تكتب عادةً في سياقات محدّدة عند وجود دول مستقرّة وتداول للحكم -أي أنها وليدةٌ للحاجة الواقعية- وكتابتها خارج تلك الحاجة لا يخلو أن يكون ترفًا فكريًّا من جهة أو مثاليًّا غير واقعي من جهة أخرى.

بل إنّ البرامج السياسية في الدول المستقرّة تتجدّد عند الاستحقاقات الانتخابية بسبب تغيّر الظروف والأوضاع، بغضّ النظر عن مرجعيتها الفكرية والمبادئ الجوهرية التي تنبثق عنها.

> **دعوى عدم وجود نظام حكم في الإسلام تؤدي إلى نزع حق التشريع من الله وإسناده للبشر، والعودة على الأحكام الشرعية بالتغيير أو التعطيل، واستجلاب القوانين الوضعية بزعم تحقيق مقاصد الشريعة من مبادئه العامة، وهذا هو عين الرضوخ للهجمة العَلمانية على تشريعات الإسلام**

خطورة دعوى أنّه ليس في الإسلام نظام حكم:

تتمثل خطورة هذه الدعوى في عدة أمور:

١. أنّها تنزع عن السياسة في الإسلام أهمّ خصائصها وهي حقّ التشريع لربّ العالمين، وتسنده إلى البشر، وتدعو إلى تأسيس الأحكام على الاختيارات البشرية زاعمة بأنّها أحكام شرعية لدخولها تحت مبادئ عامة وغايات شرعية، وهذا من تبديل شرع الله.

٢. العودة على كثير من الأحكام الشرعية بالتغيير أو التعطيل بحجّة التجديد أو مسايرة العصر أو الاستفادة من الآخرين، ودعاوى الالتقاء مع المشتركات الإنسانية في المبادئ والقيم العامة، وتفريغ أدلة وجوب الرد لله ورسوله من حقيقتها.

٣. إحداث تغييرات في البنية التشريعية والقانونية للنظام السياسي وما يتفرّع عنه، وتغيير في البنية الثقافية للمجتمع وهويته بسبب تغيير هذه الأحكام والتشريعات، مما يؤدّي إلى إحداث تغييرات حضارية ورسالية.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/١٣٠).
(٢) الطرق الحكمية لابن القيم (١/١٣).
(٣) ينظر: دراسة في فقه مقاصد الشريعة، للقرضاوي، ص (١١٥-١١٦).

٤. أمّا أخطر ما في هذا الادّعاء فهو: الرضوخ للهجمة العَلمانية على الإسلام وتشريعاته[١]، أو الإعجاب بأنظمتها وقوانينها، مما يدفع عددًا من المسلمين لترديد هذه الدعوى، وجعل تشريعات الإسلام عناوين عامّة مع تفريغها من مضامينها التشريعية، لتلتقي مع العناوين العَلمانية، ثمّ تستجلب بعد ذلك القوانين والتشريعات الوضعية، بزعم أنّ المهمّ هو تحقيق مقاصد الشريعة في تلك المبادئ! وكفى بذلك تطويعًا للدين وتكييفًا للثقافة المعاصرة.

٥. إنّ مسايرة الأنظمة الأخرى ومجاراتها في الأسس النظرية والتشريعات التطبيقية، والتحوّل من موقع التصدير والتأثير إلى الاستيراد والتأثّر لا يبني نموذجًا حضاريًا، ولا يسهم في تقديم حلول.

وختامًا:

فإن من مقتضيات الإيمان بكمال الإسلام، وشمول تشريعاته لكافة جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان في أمور الدين والدنيا على المستوى الفردي والأسري والمجتمعي، حتى في الأمور شديدة الخصوصية، من الطهارة، والنوم، وتناول الطعام، والمعاملات، والآداب العامة، والحياة الأسرية، والعسكرية، وغيرها، أن يكون لهم نظام سياسي يحكم جميع ذلك وينظمه، ويهيمن عليه ويضبطه.

ومن غير المقبول أن تكون رسالة الإسلام هداية العالم وإخراجه من ظلام التيه إلى نور الإسلام، وقيادته لتحقيق عبودية الله تعالى، والشهادة عليه، ألا يكون لهم نظام سياسي متميز عن تلك الأمم الخارجة عن عبودية الله تعالى وشرعه، وأن يتركهم عالة على هذه الأمة أو تلك لاقتباس نظام يحكمها ويضبط أمورها[٢].

إنَّ جعلَ أمور الحكم من اختصاص الله تعالى والأمر بالرجوع إليه فيها كمثل قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] وقوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف: ٦٧] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠، ٨٨] يقتضي ألا يترك دون نظام يوضحه ويبينه، وإلا كان ذلك نقصًا ينزه عنه الشرع الحكيم، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

(١) تترافق هذه الهجمة مع تأثر بتفسيرات علمانية للنصوص الشرعية، يقودها الفهم المغلوط لحديث: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم)، مجاراة للمقولة الإنجيلية «دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر».

(٢) في مثل هذا المقال المختصر يتعذَّر استعراض الأسس والقواعد العامة لنظام الحكم في الإسلام، والتي يمكن الرجوع إليها في دراسات مفصلة عن ذلك، مثل: النظرية العامة لنظام الحكم في الإسلام، د. عطية عدلان.

تأصيل

صور من حقوق المرأة في الإسلام

د. رغداء زيدان (*)

الإسلام هو الأكثر تكريمًا للمرأة على الإطلاق، وقد كان هذا واضحًا منذ البعثة حيث عانت المرأة صنوف الظلم في مختلف الجاهليات على مستوى العالم، فأعاد لها الإسلام مكانتها وحقوقها بما يضمن لها العيش الكريم، واليوم يثبت الإسلام أنه الأكثر صونًا لحياة المرأة وحقوقها ومصالحها في جو من التكامل والتعايش الإيجابي في المجتمع، بعيدًا عن الصراع المفتعل الذي لا طائل منه سوى إفساد دنياها وآخرتها.

مقدمة:

يزداد الحديث اليوم عن المرأة وحقوقها نتيجة الواقع الذي نعيشه، إذ يأخذ فيه حيز الحقوق مكانًا واسعًا في النقاشات الدائرة بين المهتمين، ولعل هذا من مفرزات الثَّورات العربيَّة التي اندلعت منذ عام ٢٠١١م، فالشُّعوب الَّتي هبَّت للمطالبة بالحريَّة والكرامة وقوبلت بكم هائل من القمع والعنف والقتل والاعتقال والتَّهجير واللامبالاة الدَّوليَّة، صارت حريصة على ضمان حقوقها أكثر من أي وقت مضى، بالإضافة إلى التغيرات المتسارعة في العالم، التي أثرت على الجميع، فغيرت من أنماط التفكير، وشكلت اتجاهًا عامًا نحو الرغبة بالتغيير.

وفي المجتمعات المسلمة، ومنها سوريا، يأخذ الحديث عن حقوق المرأة اليوم منحيين:

- **منحى دفاعي:** يركز على تكريم الإسلام للمرأة، ويتجاهل المشكلات الكثيرة في المجتمع والتي تنعكس بتبعاتها على المرأة بشكل واضح، كالعنف، والظلم، وهضم الحقوق... إلخ، فيبدو كأنه يتحدث عن عالم فاضل متخيَّل، لا يوجد إلا في ثنايا الكتب.
- **منحى هجومي:** يحمّل الإسلام وتعاليم الدين مسؤولية ما تتعرض له المرأة من مشكلات، ويخلط بين الدين والاستبداد وسوء الإدارة، ويتعامل مع الموضوع تعاملاً تجزيئيًا، فيفصل مشكلات المرأة عن سياقها، ويصور المرأة مظلومة محرومة، تصارع مجتمعًا ذكوريًا لا يرحم، يستبد باسم الدين ليسرق أحلام النساء بالحرية والعدالة والمساواة! وكأن الرجال في مجتمعاتنا لا

(*) باحثة في قضايا الفكر والمجتمع

يعانون، وكأن القوانين العاملة في المجتمع تعكس تعاليم الدين حقيقة.

في هذه المقالة أسعى لتقديم صورة لحقوق المرأة، المستندة للقرآن الكريم والسنة النبوية، والتي يمكن البناء عليها لمعالجة المشكلات التي تلقي بظلالها على حياة النساء اليوم، بطريقة لا تجعل المرأة في مواجهة مع الرجل والمجتمع المحيط، وتسهم في الوقت نفسه في بيان التصور الإسلامي حول مسؤولية الإنسان -ذكرًا وأنثى- في العمران الإنساني.

> **فرق شاسع بين من يتكلم عن مكانة المرأة ويدافع عن حقوقها فحسب، وبين من يضعها في مكانها اللائق، ويحمّلها رسالتها في الحياة لتقوم بأداء مسؤوليتها في العمران والاستخلاف**

المرأة في القرآن إنسان مسؤول كامل الأهلية:

هناك فرق شاسع بين من يتكلم عن مكانة المرأة في الحياة ويدافع عن حقوقها فحسب، ومن يضعها في مكانها اللائق، ويحمّلها رسالتها في الحياة لتقوم بأداء مسؤوليتها في العمران والاستخلاف. فالإنسان في التصور الإسلامي لم يُخلق عبثًا، وهو مسؤول وسيحاسب على عمله وقد حُمّل أمانة الاستخلاف وعليه القيام بها، مستحضرًا خير البشرية جميعًا، وليس خلاصه الفردي فقط.

لذلك فقد خلق الله الإنسان (ذكرًا وأنثى) وكرَّمه، وسخّر له الكون وما فيه، واستعمله في إعمار الكون، وأمره بالتعاون والتكامل والتعايش مع بني جنسه، وجعل التفاضل بينهم قائمًا على التقوى والعمل الصالح، وهو معيار مضبوط بكون الله الخالق هو العالم بعباده وبما في الصدور، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالأساس الذي قام عليه مفهوم حقوق الإنسان هو تكريم الإنسان بما يمكّنه من القيام بدوره في المجتمع.

وبالعودة للمرأة في القرآن نجد أن الله تعالى ذكر لنا في كتابه الكريم نماذج عديدة للنساء، فذكر تسع عشرة امرأة، في مواضع حياتية مختلفة، وبأدوار واسعة متباينة، ولو حاولنا استخلاص بعض الملحوظات من خلال استرجاع قصصهن المذكورة في القرآن، سنجد إشارات مهمة لتأصيل حقوق المرأة في القرآن، ومن ذلك:

١. المرأة الطائعة لربها الواثقة من تأييده ونصره، الثابتة على الحق؛ القادرة على مواجهة الجميع إن اقتضى الأمر ذلك، لأن إيمانها بالله لا يحده حدود، مهما كلفها ذلك، وهذا نموذج مريم عليها السلام، التي اجتهدت في العبادة لله، فاصطفاها لتقوم بمهمة الهداية والدعوة لله مع ابنها، فخرجت على قومها، وواجهت أصعب ما يمكن أن تواجه به امرأةٌ مجتمعًا، فكانت صديقة: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، فمريم العفيفة الطاهرة كانت من عباد الله القانتين، وصارت مثلاً في عفافها للمؤمنين الصادقين: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

٢. المرأة الزوجة، التي جعلها الله سكنًا وأمانًا لزوجها، وشريكة في مسيرة حياته، وبناء البيت، وإنجاب الأولاد في إطار من المودة والألفة، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. ولعل حواء التي كانت شريكة آدم عليه السلام منذ بدء الخلق، وشريكته في ذنبه وفي توبته، مثال قرآني يوضح كيف أن المرأة شريكة الرجل، لا يستغني عنها ولا تستغني عنه، ويكمل بعضهما الآخر، وكيف أن العلاقة بينهما يجب أن تكون قائمة على التعاون والتكامل، ويكون عونًا وناصحًا لشريكه.

٣. المرأة المربيّة المسؤولة عن بيتها وأولادها، الشريكة في قرارات تنشئتهم وتربيتهم؛ فامرأة عمران التي نذرت ما في بطنها لله، اختارت لمولودها التفرغ للعبادة محررًا من كل أثقال الدنيا وعبودياتها، ناذرًا نفسه لهداية الناس إلى الخير، فكانت مريم الأنثى التي اصطفاها الله لتكون أمًا للمسيح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦]. وفي هذا تصحيح لمفاهيم نجدها في بعض البيئات حيث تستكثر على المرأة حقها في توجيه أولادها ولا يسمح لها بمجرد إبداء الرأي في شأن من شؤونهم.

ذكر القرآن الكريم نماذج عديدة للمرأة في مواضع حياتية مختلفة، يجمعها أنها الطائعة لربها الواثقة من تأييده ونصره، الثابتة على الحق، والزوجة الشريكة في بناء البيت والقيام بشؤونه، التي تشهد الأحداث وتتفاعل معها دون الإخلال بمسؤولياتها، مع الحفاظ على نفسها وصيانتها

٤. المرأة المتجاوبة مع الظروف القاهرة التي قد تتعرض لها، فتحملها مسؤوليات ما كانت لتحملها في الأحوال العادية، لكنها مع ذلك تعرف كيف تحمي نفسها وتحفظها وتصونها في مجتمع صَعُبت فيه الظروف وقلّت فيه الموارد، وتزاحم فيه الناس لقضاء حوائجهم، وفي قصة ابنتي شعيب عليه السلام مثال قرآني على هذا النوع من النساء الفاضلات: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، فلم يمنعهما الخروج للعمل في مثل هذه الظروف من الحياء، ولم يزدهما الاختلاط بالناس إلا خبرة وقدرة على التقييم وإبداء الرأي: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

٥. المرأة الواعية الناصحة التي تجيد العيش في مجتمع ظالم يقهر الجميع ويقتل الأبرياء، وتتمكن ببراعة من التخلص من عيون الجواسيس والمتابعة الأمنية الجائرة، وتقدم النصيحة والمساعدة لما فيه مصلحة قومها وأهلها، وهنا يذكر القرآن قصة أخت موسى عليه السلام التي رسمت خطة بارعة لإعادة أخيها إلى بيته دون أن تثير ريبة في نفوس أهل القصر: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١١-١٢].

٦. المرأة المدافعة عن حقوقها، والتي لا تسكت على الضيم، فتسعى لرفع ما أصابها من ظلم، وتبذل جهدها لتصل لحقها، وفي سورة المجادلة مثال قرآني جلي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

٧. المرأة التي تشهد الأحداث، وتتفاعل معها دون أن يؤثر ذلك على بيتها ومسؤوليتها فيه، فلا تكون مُغيَّبة مُقصاة، ولا تكون بعيدة عن بيتها ومسؤولياته، كامرأة إبراهيم عليه السلام، التي شهدت قدوم الملائكة لمعاقبة قوم لوط، والتي كانت قائمة شاهدة متفاعلة، تخدم ضيوف زوجها، وتعرف ما يدور حولها بما يناسب وضعها: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

٨. المرأة القريبة من صانع القرار، والتي أخذت المسؤولية بأمانة وإتقان، فلم تنجرَّ وراء مظاهر الرخاء وحياة القصور، ولم تستخدم ما تحت يدها من سلطة في ظلم الآخرين، ولم يبهرها بريق السلطة والجاه، ولم تطع الظالم طاعة عمياء خوفًا من تجريدها من النعيم الذي هي فيه، وفي هذا يذكر القرآن امرأة فرعون الحاكم: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]. ويذكر ملكة سبأ العادلة الحكيمة التي تشاور وتحاور: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، والتي خضعت للحق بعدما تبين لها: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

٩. نساء النبي ﷺ، النساء اللاتي آمنّ بالله ورسوله، وآثرن الآخرة على الدنيا، وقبلن باليسير منها ابتغاء ما عند الله، وكنّ خير مثال للمسلمات من بعدهن في الإيمان والتقوى والعفّة والطاعة والعبادة وذكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]

> **كرَّم الله تعالى بني آدم -ذكورًا وإناثًا-، وفاضل بينهم بالتقوى، وجعلهم شركاء في التكليف والجزاء، ومنح الأجر كاملاً على العمل الصالح في الدنيا والآخرة دون ظلم أو نقص**

هذه النماذج القرآنية الحية، تعكس عمليًا الأسس التي وضعها القرآن فيما يخص المرأة، والتي منها:

١. تكريم الله تعالى لها: فالله كرّم بني آدم وجعلهم متساوين في أصل خلقتهم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]. وجعل التفاضل بالتقوى، وليس بالذكورة والأنوثة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢. الاشتراك في التكليف والجزاء، وإعطاؤها الأجر كاملاً على العمل الصالح في الدنيا والآخرة دون ظلم أو نقص: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

٣. ضمان حقوقها المتعلقة بالزواج والمهر والطلاق والنفقة وإرضاع الأطفال، وغير ذلك من الأمور التي تمسُّ حياتها الخاصة والأسرية، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]، ويقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ويقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وغيرها كثير من الآيات التي تأمر بحفظ حقوق النساء وعدم ظلمهن أو التعدِّي عليهن.

٤. ضمان ذمَّتها المالية: كأهلية وجوب تُثبت صلاحية الإنسان لنيل حقوقه المشروعة له، وأداء مسؤولياته المالية تجاه الآخرين: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢]. يقول سيد قطب في ظلاله حول هذه الآية: «ونسجِّل هنا ما منحه الإسلام للمرأة في هذا النص من حقِّ الملكية الفردية، وهو الحق الذي كانت الجاهلية العربية -كغيرها من الجاهليات القديمة- تحيف عليه، ولا تعترف به للمرأة، إلا في حالات نادرة، ولا تفتأ تحتال للاعتداء عليه، إذ كانت المرأة ذاتها مما يُستَولى عليه بالوراثة كالمتاع... فأما الإسلام فقد منحها هذا الحقَّ ابتداءً، وبدون طلب منها، وبدون ثورة، وبدون جمعيات نسوية، وبدون عضوية برلمان، منحها هذا الحق تمشيًا مع نظرته العامة إلى تكريم الإنسان جملة، وإلى تكريم شِقَّيْ النفس الواحدة، وإلى إقامة نظامه الاجتماعي كله على أساس الأسرة، وإلى حياطة جو الأسرة بالود والمحبة والضمانات لكل فرد فيها على السواء»[١].

٥. جعل الله للمرأة ولاية للمؤمنين كما قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. فمعنى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: كما قال الطبري: «إن بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم»[٢]. وعند البغوي: «بعضهم أولياء بعض في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة»[٣]. وعند القرطبي: «قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف»[٤]. وقد جاء في التَّحرير والتَّنوير لابن عاشور: «وعبَّر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنَّهم أولياء بعض للإشارة إلى أنَّ اللُّحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام، فهم فيها على السَّواء ليس واحد منهم مقلِّدًا للآخر ولا تابعًا له على غير بصيرة، لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتَّناصر بخلاف المنافقين، فكأنَّ بعضهم ناشئ من بعض في مذامِّهم»[٥].

٦. قبول بيعتها والتزامها بدستور البلاد الناظم للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، واعتبار رأيها في ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

٧. حماية المرأة من الإساءة والاعتداء أو التحرُّش، أو التطاوُل عليها وعلى سمعتها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

ضمن الإسلام حقوق المرأة المتعلقة بالزواج والمهر والطلاق والنفقة وإرضاع الأطفال، وسائر الأمور التي تمسُّ حياتها الخاصة والأسرية كما ضمن ذمَّتها المالية التي تنال بها حقوقها المشروعة، وتؤدي مسؤولياتها تجاه الآخرين

المرأة في مجتمع المدينة المنورة:

«كنا في الجاهلية لا نعُدُّ النساء شيئًا، فلما جاء الإسلام وذكَرهُنَّ الله رأينا لهن بذلك علينا حقًا من غير أن نُدخلهن في شيء من أمورنا»[٦]

هكذا كانت نظرة الرَّجل لامرأته قبل الإسلام، لكن عندما جاء الإسلام اختلف الأمر تمامًا، خاصَّة في مجتمع المدينة، فقد عمل الإسلام على تغيير نظرة الرَّجل إلى زوجته من حصرها في محل قضاء شهوته، وخدمة بيته فقط، إلى وضع أسسٍ جديدةٍ، وتغييراتٍ جذريَّة في تنظيم العلاقة بينهما، وكان من أهمّ التّغييرات الَّتي أرساها الإسلام في ذلك:

١. **جعل المرأة عماد الأسرة، وذلك عن طريق:**

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١١٤/٢).
(٢) تفسير الطبري (٣٤٧/١٤).
(٣) تفسير البغوي (٧٢/٤).
(٤) تفسير القرطبي (٢٩٨/١٠).
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦٢/١٠).
(٦) أخرجه البخاري (٥٨٤٣). قال ابن حجر: «وفي رواية يزيد بن رومان: كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلا إذا كانت له حاجة قضى منها حاجته» فتح الباري (٢٨١/٩).

الأسس التي وضعها القرآن للمرأة

» تأكيد أنَّها السَّكن والمودَّة لزوجها: فالقاعدة الكبرى الّتي يجب أن يقوم عليها أساس الحياة الزَّوجيَّة، هو الاستقرار والمودّة والرحمة والسَّكن.

» تأكيد مسؤوليّة المرأة في الأسرة: عن عبدِالله بن عُمَرَ يقوُل: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كلكم رَاعٍ وكلكم مَسؤول عن رعيتِهِ، الإمامُ رَاعٍ ومسؤول عن رعيتِهِ، والرجلُ رَاعٍ في أهلِهِ وهو مسؤولٌ عن رعيتِهِ، والمرأةُ رَاعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيتِها»[١].

» الأمر بالعدل وحسن العشرة والتعامل، وجعل ذلك دلالة على الخيرية، فقد جاء في الحديث: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي»[٢]، ووضع تشريعات عديدة لحل الخلافات التي تنشأ بين الرجل وزوجته، وخطوات عديدة للتعامل معها، وتصدى للظلم والعنف الذي كان يمارس في الجاهلية ضدها، سواء بتعليق زواجها، أو ضربها كضرب العبيد، قال ﷺ: «بِمَ يضربُ أحدُكم امرأتَه ضربَ العبدِ ثمَّ لَعله يعانقها»[٣] وتصف عائشة الرسول ﷺ فتقول: «ما ضربَ بيده امرأةً قطّ ولا خادمًا قطّ»[٤].

» التَّشاور والحوار وخاصة في أمور الأسرة: فقد ورد حديث عمر بن الخطاب وهو يقول: «... فَبيْنا أنا في أمْرٍ أتأمّرظهُ، إذ قالت امرأتي: لو صنعتَ كذا وكذا، قال: فقلتُ لها: ما لك، ولما ها هنا وفيم تَكَلُّفُكِ في أمرٍ أريدهُ، فقالت لي: عجبًا لك يا ابنَ الخطابِ، ما تُريدُ أن تُراجَعَ أنتَ وإن ابْنَتَكَ لَتُراجِعُ رسولَ الله ﷺ حتى يظَلَّ يومَهُ غضبانَ، فقامَ عمرُ فأخذَ رداءهُ مكانَهُ حتى دخلَ على حَفْصَةَ ...»[٥].

» ضمان الحقوق الزَّوجيَّة: جاء معاوية بن حيدة القشيريّ يسأل الرسول ﷺ: «ما حقُّ المرأة على الزوج؟» قال: (أن يطعمها إذا

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) .
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٩٥).
(٤) أخرجه أحمد (٢٤٠٣٤).
(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٣).

طَعِم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبّح)[١].

٢. **إتاحة المشاركة المجتمعيَّة للمرأة، عن طريق:**

» تقدير عملها وإسهاماتها في خدمة المجتمع والدعوة[٢].

» إقرارها على تصرُّفاتها العامَّة، وقصة أم هانئ بنت أبي طالب مشهورة في هذا الباب[٣].

» توفير الحماية التامة لها من كل ما يسيء إليها بدنيًا ونفسيًا، وحماية عرضها من أن يُطال بسوء، وإنزال العقوبات الرادعة بكل من يسيء لها بشيء: عبر فرض الحجاب عليها، والأمر بغضّ البصر عنها، وتشريع عقوبة القذف لمن يسيء إلى شرفها، وقصّة المرأة الَّتي دخلت سوق الصَّاغة في المدينة الَّتي كانت تحت سيطرة يهود بني قينقاع، والتّحرُّش بها من قبل بعض اليهود معروفة[٤].

» تمكين المرأة من أداء عباداتها وتعلم أمور دينها، وما يقتضيه ذلك من شهود أماكن العبادة وحلق العلم والدروس. وحديث «لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله»[٥] يبين أهمية حضور المرأة للمسجد، فالمسجد في عصر النّبوّة لم يكن مكانًا خاصًّا بأداء الصَّلاة فقط، بل كان مركز تعلم ومدارسة، وإدارة المدينة، فيه تثار قضايا الدّين، وشؤون السّياسة والحرب، وقضايا المجتمع العامّة، فأمر الإسلام بعدم منع المرأة من الخروج لتلك الأماكن حتى في الأوقات التي لا تصلي فيها؛ لما في حضور تلك المجالس من خير وبركة وعلم ودعوة، فعن أمّ عطيَّة قالت: أمرنا أن نُخرج الحيّض يوم العيدين والعواتق وذواتِ الخُدور فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتَهم، وتعتزل الحُيَّض عن مصلاهنّ، فقالت امرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب؟ فقال: «لتُلْبِسها صاحبتُها من جلبابها فليشهدن الخير ودعوة المؤمنين»[٦].

وبعد كل هذا وجدنا المسلمات قد تفاعلن مع هذه المكنات كلها، وشاركن في الحياة العامة في المدينة، فكن في حلقات العلم، وفي ساحات الجهاد، وتميَّزن بالعمل والمساعدة بالإنفاق على الأسرة، والصَّدقة ورعاية الضُّعفاء، والتَّطوُّع المجتمعيّ[٧]، وفي الطبابة كما فعلت رفيدة الأسلميَّة التي نصبت خيمةً في ناحية من مسجد النبي ﷺ، عالجتْ فيها الجريحَ، وجبرت الكسير، داوتهم وأطعمتهم، وسقتْهم وقامت عليهم، حتى برَأت جراحُهم[٨].

خاتمة:

هذا بعض ما قدَّمه الإسلام للمرأة، فالمجتمع المسلم الذي أرسى رسول الله ﷺ دعائمه المتينة على مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية، أصبح المجتمع المثال الذي وجدت فيه المرأة دورها الذي ينبغي لها القيام به، فانطلقت في إنجاح تلك التجربة والمساهمة في توطيد دعائم ذلك المثال وتنشئة أجيال تحمل بذور إنشاء أمة تسير على خطاه، وهو ما أحدث ثورة بكلِّ المقاييس على حال كانت تعيشه المرأة قبل الإسلام، ولم تكن هذه الثَّورة شعارات فقط، بل كانت قوانين مطبَّقة وواقعًا معاشًا، أبرز مجموعة من النساء اللّواتي كان لهنّ أثر كبير وواضح في مسيرة الإسلام، التي لم تنقطع حتى في «عصور الانحطاط»، إلى أن عصف الوقت الحالي وأحداثه بالكثير من الثوابت والمسلمات الشرعية، والتي كانت المرأة أبرز ضحاياها، وإن استلهام العلاج من تلك المنابع هو خير ضمان لصحته ونجاعته، والله من وراء القصد.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٢).

(٢) دخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النَّبيّ صلى الله عليه وسلم زائرة وقد كانت هاجرت إلى النَّجاشيّ فيمن هاجر فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فتلاسنت مع عمر الَّذي قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحقُّ برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم. فغضبت واشتكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الَّذي قال: (ليس بأحقّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السَّفينة هجرتان) أخرجه البخاري (٤٢٣١) ومسلم (٢٥٠٣).

(٣) رواها البخاري (٣٥٧) ومسلم (٣٣٦).

(٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (١٨٥/٢).

(٥) أخرجه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢).

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٤)، و(٣٥١).

(٧) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أم شريك امرأة كثيرة الضّيفان، يأتيها أصحابي)، وفي رواية: (يأتيها المهاجرون الأولون)، وفي رواية: «وأمّ شريك امرأة غنيّة من الأنصار عظيمة النّفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضّيفان» ينظر: صحيح مسلم (١٤٨٠) و(٢٩٤٢).

(٨) ينظر: الإصابة، لابن حجر (١٣٦/٨).

وسائل التواصل الاجتماعي.. لخدمة الإنسان أم للسيطرة عليه؟!

أ. أحمد أرسلان (*)

أضحت وسائل التواصل الاجتماعي جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية؛ قرَّبت البعيد، وجمعت المتناثر، وقدَّمت خدمات كبيرة للبشرية، لكنها تجاوزت وظيفتها الأساسية، فصارت تُستخدم لترويج الأفكار، وتسويق السِّلع، والتأثير في الرأي العام، كما أنها تسبَّبت بالإدمان لمستخدميها، مما يدعونا إلى إعادة النظر في كيفية استخدامها وطرق التعامل معها.

مدخل:

يقال بأنّ أول الاختراعات التي اخترعها الإنسان كانت قبل ٨,٠٠٠ عام قبل الميلاد تقريباً، فقد اخترع الإنسان الفؤوس من الصخور والعظام وقرون الحيوانات والعاج بعد تشذيبها، كما اخترع الأقواس والسهام والرِماح، وهكذا توالت الاختراعات التي تساعد الإنسان في حياته اليومية. ومعظم هذه الاختراعات هي أدوات تستخدمها ثم تعيدها إلى مكانها، تبقى جامدة هكذا حتى يُعاد استخدامها مرّة أخرى.

مقدمة غريبة، صحيح؟ قد تكون كذلك، لأننا بصدد بسط الحديث عن أدوات اختُرعت في زماننا هذا لتسهيل التواصل بين البشر وتقليل الكلفة والوقت، لكنها أصبحت فيما بعد شيئًا آخر، والأهمّ أنّها لم تعد كالأدوات السابقة؛ فقد أصبحت أدوات بذكاء اصطناعي، قادرة على تطوير نفسها، بل وإجراء التجارب علينا.

نموذج عمل شبكات التواصل الاجتماعي:

بُنيت شبكات التواصل الاجتماعي على خوارزميات(١) وبرمجيات(٢) تراقب وتصنِّف ما يفعله البشر لتبني نماذج لكل شخص، ثم تتوقَّع كيف سيتصرف على منصَّاتها –وأحيانًا على كامل الجهاز– وتبدأ العمل على تطوير نموذج يصنف المستخدمين ويستثمر سلوكهم أكبر استثمار ليبقوا أطول فترة ممكنة وتجني هي مالاً أكثر.

(*) مدوِّن، ومتخصص في صناعة المحتوى والإنتاج الإعلامي.

(١) الخوارزمية هي مجموعة من الخطوات الرياضية والمنطقية والمتسلسلة اللازمة لحل مشكلةٍ ما. وسميت الخوارزمية بهذا الاسم نسبة إلى العالم أبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي الذي ابتكرها في القرن التاسع الميلادي.

(٢) البرمجيات Software مصطلحٌ عام يُطلق على أي برنامج منفرد أو مجموعة من البرامج والبيانات والمعلومات المخزنة.

وبالمثال يتَّضح المقال..

تخيلوا معي لوحة إعلانات طرقية بجانب إشارة مرور تعرض إعلانات مرئية للسيارات المتوقفة، في هذا المشهد أربعة عناصر، هي:

١. لوحات الإعلانات الطرقية.

٢. شركة الإعلانات التي تملك اللوحات الطرقية.

٣. المعلن الذي يدفع لشركة الإعلانات.

٤. الأشخاص المتوقفين بسياراتهم أمام هذه اللوحة.

فلوحة الإعلانات تقابلها منصات التواصل الاجتماعي، وشركة الإعلانات تقابلها الشركات المالكة لمنصات التواصل الاجتماعي، والمعلن الذي يدفع لشركات الإعلانات هو نفسه الذي ينشر الإعلانات على شبكات التواصل الاجتماعي، والأشخاص المتوقّفون بسياراتهم أمام هذه اللوحة يقابلهم مستخدمو هذه الشبكات.

هذا هو نموذج عمل شبكات التواصل الاجتماعي التجاري..

وحتى نعرف عمق تأثير منصات التواصل الاجتماعي هذه على عاداتنا ونحتها المستمر في سلوكيات المجتمع، دعونا نعود لمثالنا، تخيل أن شركة الإعلانات المالكة للوحات الإعلانات الطرقية كانت تملك الصلاحية لتمديد وقت إشارة المرور الحمراء، مما يعني أنك بدل أن تقف على إشارة المرور لمدة ٣٠ ثانية، أصبح باستطاعتها أن تمدد وقت وقوفك إلى دقيقة كاملة وربما أكثر، ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنها أخذت من وقتك حتى تزيد من أرباحها لأنها إما ستبيع الإعلان بسعر أعلى كون مشاهدتك له أصبحت أطول، أو ستبيع عدد إعلانات أكثر، لأن الوقت أصبح أطول فيتسع الزمن لإعلانات أكثر.

لكن، لحسن الحظ أن شركات الإعلان الطرقية لا تملك هذه الصلاحية، ومع الأسف شبكات التواصل الاجتماعي تملكها بطريقة ما، نعم تملكها، بل إن جوهر المنافسة بين منصات التواصل الاجتماعي هو هذا بالذات، سباق بين المنصات لجذب انتباهنا واستهلاك أوقاتنا، أي جوهر المنافسة بين منصات التواصل الاجتماعي هو زيادة عدد الدقائق أو الساعات اليومية التي نقضيها على هذه المنصات، وبكل بساطة، الهدف الأساسي زيادة الربح، فكلما سمّرنا أعيننا لفترات أطول على الخط الزمني (timeline) لهذه الشبكات وبقيت أصابعنا تسحب الشاشة للأعلى لنرى المنشورات التالية؛ رأينا إعلانات أكثر ودفعت الشركات المعلنة لشركات التواصل الاجتماعي أكثر. وكما يقال: «إن لم تدفع ثمن المنتَج فأنت المنتَج».

بُنيت شبكات التواصل الاجتماعي على خوارزميات وبرمجيات تراقب وتصنِّف ما يفعله البشر لتبني نماذج لكل شخص، ثم تتوقَّع تصرفاتهم، وتعمل على استثمار سلوكهم ليبقوا على منصاتها أطول فترة ممكنة وتجني هي مالاً أكثر

أبرز ثلاثة أهداف للشبكات الاجتماعية لزيادة ربحها:

١. زيادة التفاعل لنبقى فترة أطول.
٢. نمو عدد المستخدمين لتعود وتدعو غيرك.
٣. بيع عدد إعلانات أكبر.

كم نقضي من الوقت على شاشات الجوال؟

قد يقول قائل: أنا لا أقضي وقتًا طويلاً على شاشة الهاتف، هي بضع دقائق فقط، لكن الحقيقة غير ذلك، واستخدام الجوال وتصفحه وتفقده أصبح عادة لا وعي لدينا، خلال المشي، عند أول لحظة ملل، بعد الصلاة، في التجمعات العائلية والمهنية!، قبل النوم، وفي أوقات كثيرة يومية تمتد أيدينا مرارًا وتكرارًا للنظر في تحديثات التطبيقات.

وبإمكان أيٍّ منا أن يتفقَّد مدّة استخدام الجهاز، وينظر للنتائج في نهاية كل يوم، ستُصدمون! نحن نقضي على الأقل ثلاث ساعاتٍ يوميًا على الهاتف وقد تصل إلى خمسة وستة ساعات، ونفتح شاشة الجوال مئات المرات كل يوم.

ففي عام ٢٠٢٠م أشار تقرير نشرته شركة آب آني لمراقبة التطبيقات، ومقرها الرئيسي في الولايات المتحدة، إلى متوسط عدد الساعات التي يقضيها الناس حول العالم في تصفح هواتفهم أثناء اليقظة حيث يصل إلى ٤,٨ ساعات يوميًا، بارتفاع عن عام ٢٠١٩م بنسبة ٣٠ في المئة.

وقُدّرت هذه الإحصاءات قياسًا على عشر دول ضمّت الهند، وتركيا، والولايات المتحدة، واليابان، والمكسيك، وسنغافورة، وكندا.

أما مستخدمو تطبيقات الهاتف في كل من البرازيل، وإندونيسيا، وكوريا الجنوبية فقد تجاوز الوقت الذي يُمضونه في تصفّح هواتفهم مدّة خمس ساعات يوميًا[١].

وهذا لأن صانعي هذه الخوارزميات والمتلاعبين من ورائهم تعلَّموا كيفية تحفيزنا وطوَّروا مهاراتهم، وبدون ممارسات واعية لترشيد استخدامنا للجوال والشبكات الاجتماعية ستَسرق هذه الأشياء كلَّ اهتمامنا، وتركيزنا، وأوقاتَنا، وطاقاتنا، وسنفقد الكثير من عاداتنا اليومية دون أن نُدرك ذلك، كالقراءة الجادَّة البنائية، أو التركيز والمذاكرة، أو النوم العميق، أو الإصغاء التام لمن حولنا وبناء العلاقات أو حتى الاختلاء بالذات.

> **الأوقات التي تضيع والتركيز الذي يتلاشى على شاشات الجوال ومواقع التواصل، ونشوة الإنجاز الموهوم، إنما يُصرف في الحقيقة على حساب تركيزنا على أهدافنا وواجباتنا في الحياة**

وكما يقول أهل العلم بأنَّ المعصية تحلُّ محل طاعة[٢]، وأنَّ البدعة تحلُّ محل سنة، فكذلك الأوقات والتركيز الذي يتلاشى على شاشات الجوال هو في الحقيقة على حساب تركيزنا على أهدافنا وحياتنا. يرى ابن القيم –رحمه الله– أن «التفكير طاقة تنفد، لذا يجب ألا يتم إحراقها في «الماجَرَيات» وأحوال الناس، بل التركيز على الموضوعات النافعة، وهذا ليس في حال الاجتماع مع الآخرين، بل حتى عند خلوة المرء بنفسه يجب ألا يستهلك طاقته الذهنية في التفكير بالأحداث العابرة، بل يستعملها استعمالاً منظمًا في الأهداف الفاضلة الكبرى»[٣]. هذا في زمانه، فكيف في زماننا؟!

الشعور بالإنجاز على شبكات التواصل الاجتماعي:

وهم الشبكات الاجتماعية هو نشوةُ الشعور بالإنجاز والتأثير السريع، فترانا دائمًا نبحث عما نكتب أو ننشر ونراجع عدد الأشخاص المتفاعلين مع ما نشرنا، وكم شخصًا رأى الحالة التي وضعناها، وما هو تقييم الآخرين لأشكالنا وأفكارنا، ويسمى هذا الشعور بالبحث عن (الموافقة الاجتماعية).

ولأنَّ ما يأتي سريعًا يذهب سريعًا، فكلما غبنا قليلاً عن التفاعل مع هذه الشبكات سنشعر بخواء وفراغ، فنُعيد البحث عما ننشر، ونتابع ما نحصل عليه من تفاعل، وهكذا في حلقةٍ مفرغة تستهلك تركيزنا بإنجاز هو في كثير من الأحيان وهمي، وهذا لا يعني أنه كذلك لكل ما يُنشر، لكن الخطير أن يصبح النشر لأجل النشر والبحث عن التفاعل والشعور بتلك النشوة العابرة، وهكذا يتولَّد لدينا شعورٌ يدفعنا للتعليق على كل شيء والتفاعل مع كل شيء وضرورة الكتابة والنشر مرة يوميًا ولو لأتفه الأشياء.

كما أنَّ هذا النشر على الشبكات والتفاعل السريع معه يُصعِّب علينا العمل على أرض الواقع لأننا نعتاد الإنجاز الوهمي السريع السطحي غير المؤثر على حساب الإنجاز البطيء العميق المؤثر.

ولنتذكَّر أنَّ رموز الإعجاب والمتابعة وعدد المشاهدات والزيارات تخلط أحيانًا بين الحقيقة والقيمة وبين الشعبية الهشة والزائفة. أيضًا زيادة الاهتمام بالنشر والتفاعل على منصات التواصل الاجتماعي غالبًا ما يكون على حساب الإنجاز الحقيقي على أرض الواقع المؤثر الذي لا يأتي إلا بعد سنوات من البناء ثم سنوات من العمل.

نظام التوصيات:

هل توقفت مرَّةً وسألت نفسك: لمَ عندي ألفا صديق وأتابع عشرات الصفحات على فيسبوك ولا أرى إلا منشورات العشرات منهم وربما أقل!

هذا مُبرمجٌ ومقصود، فالشبكات الاجتماعية، ولأنها تُريدك أن تقضي أطول فترة ممكنة على منصاتها، فهي تدرس بعناية أيَّ تعليق، أو مشاركة، أو إعجاب، أو تفاعل مع أيِّ منشور، بل حتى وقوفك لـثانيتين أو ثلاثة على أحد الفيديوهات وعدم وقوفك إلا لثانية واحدة على فيديو آخر هو أمر مُسجَّل ومحسوب وله تبعات لاحقًا، ويستخدم بصُور سيئة من قبل الشركات.

---

(١) مقالة: كم عدد الساعات التي نقضيها في تصفح هواتفنا يوميًا؟ - BBC

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي، متحدثًا عن آثار الذنوب والمعاصي: «ومنها: حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله، ويقطع طريق طاعة أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة، ثم رابعة، وهلم جرًّا، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها». الجواب الكافي، ص (٥٤). وفي حاشية العدوي -المالكي- على الخرشي (٤٦/٣): "إنّ الله يحرم الإنسان القُربَة بذنب أصابه".

(٣) كتاب الماجريات، لإبراهيم السكران، ص (٤٢)، ولكاتب هذه المقالة قراءة في كتاب الماجريات للسكران، نشرت في العدد الثالث من المجلة.

فخوارزمية الشبكات الاجتماعية تدرس اهتمامك وتفاعلك، وتبدأ بإظهار المنشورات التي تجذبك وتزيد تصفحك وتفاعلك، أما تلك التي لم تُعرها اهتمامًا فبعد أن تتأكد تلك الخوارزمية أنها لا تُساعد على إبقائك لفترة أطول سوف تستثنيها تمامًا من جدار التصفح.

وقد يقول قائل، وما المشكلة؟ هكذا أفضل، لا يظهر لي إلا ما يعجبني، أقول لك: هنا المشكلة يا صديقي، فعادةً يتفاعل الناس إيجابيًا مع الأمور التي تعجبهم، لكن آراء الناس وأفكارهم من حولنا في العالم الواقعي ليست كذلك، فالاختلاف موجود وسيبقى، وإن لم نتعلم كيف نتقبَّله ونُديره ونتعامل معه فسيخرج لدينا أشخاص حادُّون لا يقبلون أيَّ خلاف، بل ويستغربونه، من أين يأتي ذلك؟ عندما تقضي أسابيع وشهورًا على منصات التواصل الاجتماعي، وهذه المنصات لا تقترح لك ولا تُظهر إلا أشخاصًا يفكِّرون كما تفكر، واهتماماتهم تشبه اهتماماتك، وآراؤهم مثل آرائك فسينطبع لديك أن الناس مُعظمهم يفكرون بهذه الطريقة، لكن الحقيقة ليست كذلك، بل منصَّة التواصل الاجتماعي التي تستخدمها أوهمتك بذلك، وركّزت لك المنشورات التي تعجبك، وعندما تخرج للعالم وترى أن هناك من يخالف ستستغرب!

وهذا هو جوهر عملية التأثير بالانتخابات الذي ضجَّت به الدنيا في أمريكا، ففي كل بلدٍ هناك شرائح من الناخبين سبق أن حدَّدت موقفها من الانتخابات، لكن أيضًا هناك شريحة لم تُحدد بعد من ستنتخب، وغالبًا ما تكون هذه الشريحة هي المؤثرة في حسم نتيجة الانتخابات، فتقوم الجهة التي تسعى للتأثير بالانتخابات باستغلال ثغرات في هذه المنصات أو بالتعاون معها لترجيح كفة المنشورات التي تدعو للمرشح الفلاني أو تبرز أخباره وإنجازاته، وتصنع تأثيرًا في المتابعين خاصة ممن لم يحدد موقفه بعد.

كما يعمل نظام التوصيات في المنصات الاجتماعية على اقتراح المنشورات التي تشابه منشورات سابقة كنت قد أبديت اهتمامًا بها، حتى لو كانت شائعاتٍ أو أخبارًا زائفة ومضللة، لذلك قد تتحمل الشبكات الاجتماعية جزءًا من المسؤولية تجاه انتشار هذه الشائعات والأخبار كون هدفها هو حثُّك على المزيد من التصفُّح دون النظر في محتوى المادة ومدى تأثيرها السلبي على المجتمع، مثلاً لو شاهدت فيديو عن أن الأرض مسطَّحة وأمضيت فيه وقتًا فإنَّ نظام التوصيات سيعيد عليك اقتراحًا بمشاهدة فيديوهات ومواد مشابهة، من أشخاص تتابعهم أو مواضيع أو مجموعات وصفحات، وهكذا، حتى تظنَّ أنَّ معظم الناس يفكِّرون مثلك وأنَّ هذا هو الأصل، حينها لا تستغرب كيف لفلان أن يؤمن بذلك ببساطة أو يصدق بإحدى نظريات المؤامرة وهو يرى حوله يوميًا المزيد والمزيد من المواد التي تدفعه لترسيخ قناعاته حول ذلك.

إذن، هل أسهمتْ منصَّات التواصل الاجتماعي بإقناع أشخاص أكثر وأكثر بمعلومات خاطئة؟

تشير دراسة لمعهد «ماساتشوستس» للتقنية بأن الأخبار الكاذبة تنتشر على تويتر أسرع بـ ٦ مرات من الحقيقية.

ويقول أحد خبراء منصات التواصل الاجتماعي السابقين: أنشأنا نظامًا ينحاز للمعلومات الخطأ – عن غير قصد– وليس لأننا أردنا ذلك، بل لأنَّ المعلومات الخطأ تجني للشركات الكثير من المال[1].

ويقول آخر من كبار الموظفين السابقين لدى شركات منصات التواصل الاجتماعي ممن استضافتهم منصة نيتفلكس في فيلم (المعضلة الأخلاقية): «خلقت التكنولوجيا الفوضى العارمة والغضب واللامبالاة وقلة الثقة في بعضنا البعض والوحدة والاغتراب والمزيد من الاستقطاب واختراق المزيد من الانتخابات والشعبوية والمزيد من الإلهاء وعدم القدرة على التركيز على القضايا الحقيقية؛ فذلك هو المجتمع والآن أصبح المجتمع غيرَ قادرٍ على معالجة نفسه ويتحوَّل إلى نوعٍ من الفوضى».

والآن بعد توضيح طبيعة عمل هذه الشبكات وعُمق تأثيرها، لا بدَّ من العمل المستمر على وضع الحلول المناسبة لترشيد هذا الاستخدام والتخفيف من آثاره السلبية، فالموضوع ليس سهلاً، فهذا الهاتف صغير الحجم الذي تحمله بين يديك، يقبع في الطرف المقابل حاسوب عملاق يحثُّك على مشاهدة المزيد، ومتابعة المزيد، ويتعلم عنك أكثر وعما يعجبك وما لا يعجبك، ليعرف كيف يستدرجك ويوجِّهك.

(١) الفيلم الوثائقي (المعضلة الأخلاقية).

الشبكات الاجتماعية تدرس اهتمامك وتفاعلك، وتبدأ بإظهار المنشورات التي تجذبك وتزيد تصفحك وتفاعلك، أما تلك التي لم تُعرها اهتمامًا فهي لا تُساعد على إبقائك لفترة أطول، ولذلك تستثنيها الشبكات من جدار التصفح

نصائح لترشيد تعاملنا مع منصات التواصل الاجتماعي[1]:

١. لا تشارك المحتوى قبل التحقُّق:

كثير منا لم يستوعب بعد كيف أنَّ منصَّات التواصل الاجتماعي أصبحت أكبر أداةٍ لنشر الأخبار الكاذبة والمضللة والمقصودة في كثير من الأحيان، ويقع في هذا الفخ حتى بعض الأفاضل ومن نثق بهم بدون قصد، ولا يتردَّد هؤلاء بأن يقولوا لك (وصلني من أخ ثقة)، ويكون الثاني وصله من أخ ثقة أيضًا، وهكذا، وتكون الثغرة إما أخٌ مستعجل لا يعرف كيف يتوثَّق من المعلومة على شبكة الإنترنت أو متساهلٌ بالنشر أو مندفعٌ وراء عاطفته أو باحثٌ عن التفاعل.

وهناك مثالٌ صغير أطرحه دائمًا على من حولي عندما ينقل أحدهم خبرًا كبيرًا وقد انتشر على مجموعات الواتس أب فأسأله، هل أذاعته القناة الإخبارية الفلانية أو الفلانية؟ يقول لا، فأقول له، معقول خبر بهذا الحجم (أحيانًا على مستوى دول) يتناقله الناس على مجموعات الواتس أب كأنه تسريب وما زالت القنوات الكبيرة المتخصصة لم تعلم به؟ هذه إحدى القواعد اليسيرة في التوقُّف عن نشر أخبار كهذه.

لذلك، قبل أن تُشارك محتوىً ما عبر الإنترنت «تأكَّد من الحقائق»، و«ضع في اعتبارك المصدر».

٢. خصص أوقاتًا معينة لاستخدام الإنترنت والهاتف الجوال:

ولا تتصفح المواقع عشوائيًا، بل ادخل للموقع والتطبيقات بهدف معين، وعندما تحقِّقه اخرج منها، وإن صعُب عليك فخصص أوقاتًا يحظر فيها استخدامه: في المسجد، في الطريق ماشيًا، عند اجتماعات العمل والعائلة والأصدقاء، في ساعات معينة يومية، وهذا مفيد حتى على مستوى العائلة، ففي النهاية أنت قدوةٌ لأبنائك، يجب أن يروا أنه هناك أوقات معينة يوضع فيها الجوال بعيدًا ويتفرغ فيها الإنسان لعبادته وعمله ومهامِّه وعلاقاته الاجتماعية، ويا ترى، كم أخذت منا الهواتف الجوالة أوقات ذكر وعبادة وتأمل وقراءة وعمل؟

ومما يعين على ذلك: أن نقوم بحساب الأوقات التي نقضيها على الجوال ونسعى لتقليلها تدريجيًا، وأهم ما يساعد على ذلك إيجاد أعمال نافعة (وربما متراكمة) نقوم بها في الوقت الذي نوفّره.

٣. لا تشارك في نشر التفاهة:

النشر اليومي وتفاعل المتابعين والشعور بالتواصل مع الآخرين شعورٌ جذَّاب، لكن بهذا الشعور وهذه الحاجة للنشر أصبح المحتوى الأكثر مشاركة وانتشارًا هو المحتوى التافه وغير المفيد للأسف، بل تجاوز ذلك لنشر ما يُسيء لنا ولمن حولنا، فكم من ذي شيبةٍ أصبح يشارك في فيديوهات ساخرة! لأجل المتعة أو الربح، وكم من أسرة اعتادت أن تُشاركَ يومياتِها وخصوصياتِها مع الملايين، وكم من رذيلةٍ نُشرت أو فَضيحة عمَّت!

٤. استبدل المحتوى المفيد بالمحتوى الترفيهي أو التافه:

فبدل تصفح تطبيقات المحتوى المرئي الترفيهي، حاول قراءة شيءٍ، أو تابع منصات التواصل التي تضمُّ محتوى مفيدًا أكثر من غيرها.

٥. لا تتابع كلَّ شيء:

منصَّات التواصل الاجتماعي في توسُّع، والحسابات والقنوات في ازدياد، فلن يسعك الوقت لمتابعتها كلها، بل لن يسعك الوقت لمتابعة المفيد فيها حتى، لذلك حاول التركيز وقلل ما تتابعه، ومن الممكن أن تراجع كل فترة ما تتابعه وتخلّص من المتابعات والاشتراكات التي ترى أنه لا يسعك الوقت لمتابعتها.

أيضًا مما يمكن أن يضم لهذه النصيحة هو التركيز على منصة أو اثنتين في شبكات التواصل الاجتماعي، بدل السعي للنشر والتفاعل مع باقة من الشبكات الاجتماعية.

(١) بعض هذه النصائح مقتبس من مقال على الجزيرة نت يلخص أبرز نصائح خبراء التقنية من فيلم (المعضلة الأخلاقية).

٦. أطفالك مسؤوليتك:

عند السماح للأطفال باستخدام الهاتف فهذا لا يعني فتح الباب على مصراعيه، بل يمكن تقسيم استخدام الأطفال الهاتف الجوال لمراحل عدة، منها مثلاً أن بداية الاستخدام هي لتطبيقات التواصل الأساسية مع العائلة، ومتابعة الدراسة والمواد المفيدة النافعة، وتأخير استخدام شبكات التواصل قدر الإمكان، خاصة التي تعتمد على المحتوى المرئي الترفيهي، كسناب شات وانستغرام، والدراسات تقول بأنَّ هذين الأخيرين هما الأكثر سلبية على المراهقات وتقبُّلهنّ لأشكالهنّ.

وقد تمسَّك العديد من التقنيين بهذه القاعدة. قال أليكس روتر، نائب الرئيس الأول للهندسة في «تويتر» (Twitter): إن أطفاله لا يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي على الإطلاق.

وقال تيم كيندال، المدير السابق في فيسبوك: إنه يصر على ذلك: «نحن لا ندع أطفالنا يقضون أيَّ وقت أمام الشاشة».

فيما قال جوناثان هايدت، عالم النفس الاجتماعي والمؤلف بجامعة نيويورك: إنه إذا كنت ستسمح لأطفالك بالتسجيل على وسائل التواصل الاجتماعي، فانتظر حتى المدرسة الثانوية. وقال: «المدرسة المتوسطة صعبة بما فيه الكفاية»[١].

٧. قلل من الإشعارات:

لا داعيَ لتلقي إشعار صوتي وهزّاز وضوئي لكل رسالة وتفاعل يحصل على منصات التواصل الاجتماعي، فما تفعله هذه الإشعارات هو حثُّك على تفقُّد سبب الإشعار، وهذا يعني فتح الهاتف الجوال وتصفُّح ما يحدث وقد يسحبُك لسلسلة من التصفُّح لم تكن تخطِّط لها أصلاً ويسرق مما كنت فيه، ومنصة واحدة من هذه المنصات مثل واتس أب مثلاً فيها من المجموعات ما يكفي لأخذ ساعة منك يوميًا على الأقل لتتابع كل ما يحدث فيها.

فاجعل الإشعارات الصوتية للمهمَّات فقط كورود اتصال مثلاً، أو ما يتعلق بالعمل، وأغلق إشعارات شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الصوتية تمامًا.

٨. حاول ألا تنقر على مقاطع الفيديو أو المنشورات الموصى بها لك:

أصبحت خوارزميات التوصيات نوعًا من الخلطة السرية لمنصات التكنولوجيا، فهي ما يضمن استمرار تفاعل المستخدمين مع التطبيقات،

(١) الفيلم الوثائقي (المعضلة الأخلاقية).

وتقوم بجمع قائمة طويلة من المحتوى ذي الصلة عند الانتهاء من قراءة منشور أو مشاهدة مقطع فيديو.

فعلى سبيل المثال، تعدُّ خوارزمية التوصية الخاصة بـ «تيك توك» (TikTok) -تطبيق مشاركة الفيديو- أساس التطبيق المشهور والتي بسببها جذب ملايين المستخدمين الشباب.

وبسبب هذه الخوارزمية استطاع تطبيق تيك توك وغيره من التطبيقات أن يسلب ساعات من أوقات الملايين يوميًا، فهي لم تعد أداة تدخلها لتبحث عن مقطع أو اثنين ثم تخرج، لا! بل أداة تسحبك من مقطع لآخر في سلسلة طويلة لا تنتهي.

قال عالم الحاسوب جارون لانيير الذي عُرف باسم الأب المؤسس للواقع الافتراضي: إنه بدلاً من ترك الخوارزميات ترشدك، من الأفضل البحث عن الفيديو التالي الذي تريد مشاهدته.

ويقول: «اختر أنت ما تريد مشاهدته دائمًا. هذه طريقة أخرى للقتال».

وينصح غليوم شازلوت مهندس «يوتيوب» (YouTube) السابق بتثبيت إضافة لمتصفح «كروم» (Chrome) الذي يمكنه وقف التوصيات للعديد من الأنظمة والمنصات.

١٠. لا تنقر على (clickbait) أو ما يعرف بـ(فخ النقرة):

«كليك بايت» (clickbait) شكل من أشكال الإعلان الكاذب، ويتكون من رابط مصمم لجذب الانتباه وإغراء المستخدمين باتِّباعه وقراءة الجزء المرتبط به من المحتوى عبر الإنترنت أو عرضه أو الاستماع إليه، مع الوعد بميزات معيَّنة عادةً ما تكون مثيرة أو مضللة.

وأجبر ناشرو الأخبار على التكيُّف مع خوارزميات منصات التكنولوجيا هذه، مما أدى إلى تغيير أنواع القصص التي ينشرونها بناء على ما يجذب انتباه المستخدمين على الإنترنت.

١٠. تحكَّم في ما يُقترح لك:

في عدد من منصات التواصل الاجتماعي هناك خيار لتغيير طريقة عرض المنشورات من (المختارة لك) إلى (الأحدث) تصفح من خلاله أو جرب استخدامه كل فترة.

يُعتبر الشخص مُدمنًا للإنترنت -وفق بعض الدراسات- إذا تعدّى استخدامه للإنترنت ثمان وثلاثين ساعة أسبوعيًا، وهو ما يؤدِّي إلى إهمال الحياة الشخصية والمهام اليومية، وعلاج ذلك يستدعي استشارة المختصين مع العزيمة والإصرار لصحيح المسار

النصيحة الأخيرة: عالج إدمانك:

علينا أن ندرك بأنَّ إدمان الإنترنت حالةٌ مرضيّة حديثة، ظهرت بالتزامن مع ظهور الإنترنت، وتقتصر على مستخدمي الإنترنت دون غيرهم، فتؤدّي إلى تغيّر السلوكيات والتصرفات، ويُعتبر الشخص مُدمنًا للإنترنت وفق وصف كيمبرلي يونغ عالمة النفس الأمريكية إذا تعدّى استخدامه للإنترنت ثمان وثلاثين ساعة في الأسبوع الواحد، أي ما يعادل ٥:٣٠ ساعات يوميًا تقريبًا، وإدمان الإنترنت يدخل ضمن نطاق الإدمان بشكل عام، وهو اعتياد شخص على أمر مُعيّن واستخدامه لفترات طويلة دون القدرة على التخلُّص منه أو تركه، ويؤدي هذا الإدمان إلى إهمال الحياة الشخصية والمهام اليومية.

واتباع النصائح التي ذكرت في المقال واستشارة الخبراء مع وجود العزيمة والإصرار على التصحيح كفيل بإذن الله في علاج هذا وتجاوزه.

وفي الختام:

علينا أن نستحضر بأنَّنا مسلمون وأننا خلفاء في الأرض، وأن المسؤولية على قدر التشريف، فالمسلم في هذه الأرض يسعى لإصلاح نفسه ومن ثم إصلاح من ولاه الله أمرَه ومن حوله، واستحضار هذا يبين المسؤولية التي تقع على عاتقنا في حفظ أوقاتنا فيما ينفع، وحفظ أوقات من ولانا الله أمره من الأبناء والأهل، وتحديات التعليم والتربية في هذا العصر أصعب مما سبق، فإن كان الأب والأم يُضيِّعان من أوقاتهما ٣-٤ ساعات يوميًا على الجوال، وكذلك الأبناء، فمتى يكون التعليم والتربية والتواصل؟!

استعيذوا بالله من مُعوِّقات النجاح

أ. محمد علي فتح الله (*)

استعاذ رسول الله ﷺ بالله من (الهَمِّ والحَزن، ومن الجُبن والبخل، ومن العَجز والكَسَل، ومن غَلبةِ الدَّين وقهرِ الرِّجال)، فلماذا جمع هذه الصفات الثمانية في دعاء واحد؟ وما الرابط بينها؟ وما تأثيرها على الإنسان؟ تلقي هذه المقالة الضوء على هذه الصفات وتأثيرها وكيفية التعامل معها.

أسباب عدم القدرة والانطلاق والرغبة في النجاح والحيوية والشعور بالمسؤولية ثمانية: (الهم، الحزن، الجبن، البخل، العجز، الكسل، غَلَبة الدين، قهر الرجال).

هذه الأسباب الثمانية متزاوجة؛ أربعة في الروح (معنوية أو نفسية)، وأربعة في البدن (حسية)، أربعة من ذات الإنسان، وأربعة خارجية. فهي لم تُبقِ شيئًا من العوائق العظمى؛ لا من نفس الإنسان ولا مما يأتيه من واقعه ومحيطه وظروفه إلا ذكرته.

الأسباب الأربعة النفسية:

هي: (الهم، والحزن، والجبن، والبخل)، وتنقسم إلى زوجين: اثنان متعلقان بالموقف من الشيء والأحداث، واثنان متعلقان بالتصرف بالدوافع على الفعل.

- الهم والحزن:

السببان النفسيان المتعلقان بالموقف هما (الهم والحزن)، والهمُّ: هو الحال النفسية المحبطة نتيجة اليقين بعدم القدرة على مجابهة المتطلبات المستقبلية، مثل هَمِّ كِراء الدار، وهم تزويج الأبناء.

والحزن يكون عادة على فوات الفرص الضائعة أو أخطاء الماضي، مثل الحزن على عدم الاكتتاب في الشركة الفلانية، أو على بيع أرض بثمن غير مجزٍ، أو على فرصة ضاعت، وعلى خطأ فعلته.

والحزن في القرآن يستوعب كل أنواع الانكسار والألم النفسي من وجع على ما فات، أو وجع على ما يُستقبل، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]،

(*) مستشار إعلامي، ومنتج أفلام وثائقية.

وقوله: ﴿الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، وقوله: ﴿لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

الهم والحزن يدمِّران القلب، ويدمِّران الإنسان، ويفقدانه القدرة على الفعل الصحيح؛ فلا يبتسم حيث يجب أن يبتسم، ولا يُقرِّر حيث يجب أن يُقرِّر، ويتحوَّل إلى سفينة راكدة فوق الماء، لا تبتعد عن خطر ولا تقترب من فرصة.

حب المال، وترشيد إنفاقه في حده المعقول غريزة في الإنسان، لكنه إذا وصل إلى حدٍّ يحجم فيه عن أداء الحقوق، ويمنع فيه ما يجب عليه من نفقات، يكون حينها في الحالة التي تعيق عن النجاح والإنجاز والفاعلية

- الجبن والبخل:

السببان النفسيان المتعلقان بالفعل والإرادة والعزم على الفعل هما (الجبن والبخل).

والجبن غير الخوف؛ فالخوف حالٌ نفسيةٌ تؤثِّر على العقل والقلب أساسها ومصدرها تقدير الضرر، مثل أن تخافَ من العقرب أو الأفعى، فتتَّسع حدقات العين، ويخفق القلب ويتحفز، وتشتد العضلات، كل هذا خوفًا من لدغة الأفعى.

والخوف طبيعي حقيقي لا عيب فيه، لكن المهم هو ما بعد الخوف، وهو إمَّا الإقدام أو الإحجام، فإذا كان الإحجام خاطئًا فهو الجبن، كأن تخاف من سطوة السلطان، والموقف يتطلب كلمة حق، فتُحجم ويكون ذاك جبنًا، أو تقدم ويكون ذلك فدائية وشهادة وشجاعة.

الشجاع في كثير من المواقف يكون خائفًا بدرجة خوف الجبان نفسها، لكن عقله لا يتعطَّل بمشاعر الخوف الطبيعية، وهذا المعنى لا ينتبه له كثير من الناس.

الخوف شعورٌ طبيعيٌّ جدًا لكن التعامل مع الخوف هو المحكّ.. إقدامًا أو إحجامًا، مبادرةً أو تقهقرًا، فالجبن هو الامتناع عن الواجب بسبب الخوف، وهو مذمومٌ دومًا وفي كل الحالات.

يُعادل الجبنَ في المنع النفسي من الإقدام سبب آخر وهو البخل، والبخل طامّة الرجال وأعيبُ عيوبهم، وهو مثل الجبن في المنع لكن باعثه مختلف، وهو الخوف من المستقبل، والهلع من الفقر والحاجة التي يَعِدُ بها الشيطان الرجيم.

حب المال، وترشيد إنفاقه في حدِّه المعقول غريزة في الإنسان، لكنه إذا وصل إلى حدٍّ يحجم فيه عن أداء الحقوق، ويمنع فيه ما يجب عليه من نفقات، يكون حينها في الحالة التي تعيق عن النجاح والإنجاز والفاعلية.

والله ﷻ ذم البخل في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]، ولعل من أعجبها قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]؛ فلماذا يمنع إعارة ما ينتفع الناس به ثم يعيدونه إليه، وهو لن يخسر شيئًا بل سيكسب ثناء الناس واحترامهم.

إذا سلم قلب المرء من حزنٍ على ما فات، ومن همٍّ على ما يُستقبل، ومن جبنٍ يمنع من المعالي، ومن بُخلٍ يمنع تقديم أي نوعٍ من الموارد لتحريك الطاقات والأفعال .. فلا شيء يعيق هذا القلب، ولا شيء يحطم هذه الإرادة

- خلاصة الأسباب القلبية:

إذا سلم قلب المرء من حزنٍ على ما فات، ومن همٍّ على ما يستقبل، ومن جبنٍ يمنع من المعالي والمغامرة المحسوبة، ومن بُخلٍ يمنع تقديم أي نوعٍ من الموارد لتحريك الطاقات والأفعال من قبيل ابتسامةٍ أو إعارة أو ساعة عمل أو نصيحة أو مالٍ .. إذا سلم قلب المرء من هذه الآفات الأربع فأيُّ شيءٍ يُمكن أن يُعيقه؟! لا شيء يعيق هذا القلب، ولا شيء يكسر هذا القلب، ولا شيء يحطم هذه الإرادة، ولا عقبة توقف هذا القلب.

قلبٌ تحوَّل إلى إرادةٍ قويةٍ قلبٌ مدرَّعٌ مضادٌّ لكلِّ الأوجاع المعطِّلة، قلبٌ لا يُمكن كسرهُ، ولا يمكن تحطيمه، ولا يمكن تعطيله.

تلك كانت الأربعة القلبيات، فماذا عن الأربعة الحسيات؟

معوقات النجاح

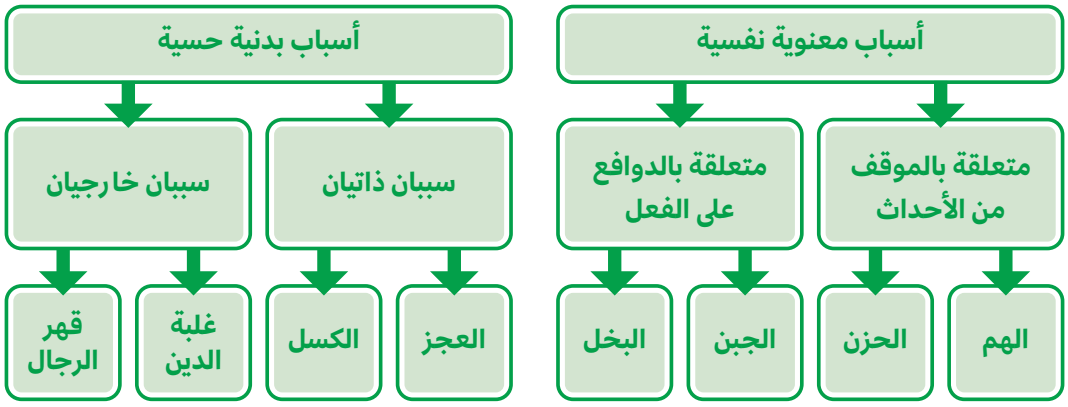

الأسباب الأربعة الحسِّية:

إذا وُجد هذا القلب النادر السالم من المعوّقات الأربع المعنوية، فهناك عوائق حِسّية قد تعوقه عن الفعل، عوائق خارج إطار القلب والنفس، وهي أربع: (العجز، والكسل، وغَلَبة الدَّين، وقهر الرجال).

وهنا قد يرى البعض أنها ليست كلُّها محسوسة فالكسل وقهر الرجال كلاهما معنوي، وهذا صحيح لوهلة، لكن ثمة فرقٌ جوهري، وهو أنَّ هذه الأربعة لا تحُول دون إرادة الفعل، بل تحول دون القيام بالفعل الصحيح وسيأتي توضيح الفرق.

لكن لنتجاوز طبيعتها إلى تحديد أثرها. ومن خلاله سيتضح لماذا جعلتُها خارجةً عن النفس.

الكسل من أقبح العيوب ولا يكاد يعترف به أحد. لكنه سبب حقيقي وقاسم مشترك بين الفاشلين، برهم وفاجرهم ذكرهم وأنثاهم بلا استثناء!! وفي المقابل فإن الناجحين، والمبدعين، والذين ترمقهم العيون نشيطون مجتهدون

- العجز والكسل:

العجز فقدان القدرة الطبيعية في البدن، مثل فقدان البصر أو السمع أو الفهم أو الحركة، كل هذا عجز، وقد يكون في الموارد والمتاحات، والاستعاذة من العجز تتضمن الاستعاذة من عدم القدرة على تجاوز العجز الحسي، وإلّا فكثير ممن ابتلي بالعمى أو الشلل أو فقد الأطراف وصل إلى أعلى درجات العلم والعمل.

أما الكسل فهو يؤدِّي لمؤدَّى العجز في المحصلة النهائية، فما الفرق بين المتعلِّم والأمِّي إذا كان المتعلم لا يوظِّف علمه؟! وما الفرق بين المشلول والصحيح، إذا كان الصحيح لا يقوم بما يجب عليه كسلاً من خدمة والدَين أو ذهاب إلى الصلاة، مثلاً؟.

الكسل لا يتعلَّق بعزم القلب على فعل الشيء. فقد لا يكون القلب مشغولاً بهم ولا بحزن، والموقف ليس فيه جبن وبخل، والقلب متشوِّفٌ في أعلى درجات التفاؤل والخلو من الإحباط، لكن ذلك كلَّه يتحطَّم على صخرة الكسل.

فقد أعرف فضلَ قيام الليل أكثر ممَّن يقوم الليل، وقد أعرف نعائمَ مُدارسةِ القرآن أكثر ممن يتدارسونه، ومع ذلك لا أقوم الليل ولا أتلو القرآن..

هذا هو الكسل، وهذا هو الفرق بينه وبين الأسباب القلبية والنفسية.

وكم من ذكيٍّ في فُسحةٍ من وقتٍ ومالٍ، وقد تهيأت له كل الأسباب.. لكنه فاشل!!

انظر لكثير من الشباب الضائع غير المنتج؛ لديه كل ما يحتاج إليه، يعرف تمامًا ما المطلوب منه، يخلو من أيِّ عائقٍ حسيٍّ أو معنويّ، لكنه فاشل.. فاشل.. فاشل، وتُفتِّش في رُكام هذا الإنسان عن السبب، فلا تجد في أعماقه غير طامةٍ اسمها الكسل.

الكسل من أقبح العيوب ولا يكاد يعترف به أحد، لكنه سبب حقيقي وقاسم مشترك بين الفاشلين، بَرّهم وفاجرهم ذكرهم وأنثاهم ... بلا استثناء!! وفي المقابل فإنَّ الناجحين، والمبدعين، والذين ترمقهم العيون نشيطون مجتهدون.

وبالطبع .. إدمان الكسل يتحول لطامّةٍ كبرى، ويبدأ الكسل في الاختباء خلف أسباب تبدو حقيقية، فتركُ قيام الليل يختبئ خلف أهمية النشاط في الصباح الباكر لأجل العمل. وهجر القرآن يختبئ خلف الأعمال المعتادة!! فالعجز والكسل ذاتيان أي من الإنسان نفسه.

الكسل طامة كبرى، وهو يختبئ خلف أسباب تبدو حقيقية؛ فتركُ قيام الليل يختبئ خلف أهمية النشاط في الصباح الباكر لأجل العمل. وهجر القرآن يختبئ خلف الأعمال المعتادة!!

- غلبة الدَّين وقهر الرجال:

بقيت خصلتان خارجتان عن إرادة الإنسان، تحولان دون الفعل، وهما (غلبة الدَّين وقهر الرجال).

المَدين (الذي عليه دَين) نوعان:

مدينٌ حرٌّ ورع، أنيفُ النفس رقيق الحس مرهف الشعور، كريم خدوم عطوف، حييٌّ شديد الحياء، وهذا المدين لا ينام، ولا يشرب، ولا يبتسم، ولا يضحك، ولا يطعم حلاوة، ولا يجد سلوى، حتى يقضي دَينه، وهذا القلق من الدَّين يجعل صاحبه أسيرًا، عاجزًا، مكسور القلب، حائر الطرف، معقود اللسان، كليل اليد. ومدينٌ آخر لا يستحي، لا ترفُّ له عينٌ ولا يخاف مسبّة، ولا يكترثُ لسداد، عينٌ وقحة وقلبٌ غدّار طوي ونفس لئيمة تتسوّل الناس وتستجديها، فهذا ليس موضوعنا.

قهر الرجال أعظمُ البلاء وأشده؛ فقد يكون الشخص قادرًا مكتمل الإرادة، ويمتلك كل أدوات الفعل من علم ومال وفكر وموارد، فيتسلَّط عليه من يُعطِّله تمامًا ويحوله إلى حطام

ومن حسن التصرُّف تجنب الاستدانة قدر الإمكان، وعدم اللجوء إليها إلا عند الضرورة، والمسارعة إلى السداد فور توفر المبلغ، ومن كانت هذه حاله فهو حريٌّ بإعانة الله في قضاء دينه.

وأما قهر الرجال فهو أعظمُ البلاء وأشده، وعلى المسلم أن يتمنَّع منه بكل ما أوتي من قوة.

وقد لام الله المستضعفين على استسلامهم للقهر، قال تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، هذا هو قهر الرجال.

قد يكون الشخص قادرًا مكتمل الإرادة، ولديه كل أدوات الفعل من علم ومال وفكر وموارد، لكن يتسلط عليه لكع ابن لكع فيُعطِّله تمامًا ويحوله إلى حطام، إلى بقايا رجل شبه مجنون بعد أن كان عالمًا تشرئب إليه الأعناق، أو مستشارًا تتحلَّق حوله الخبراء.

هذه هي العوائق التي كان رسول الله ﷺ يستعيذ منها[1]، ويعلم أصحابه التعوُّذ منها، وهي تستحقُّ منا التحصُّن والتوقّي منها بشتى الوسائل والسبل لعظيم ضررها وفداحة خطرها.

اللهم إنَّا نعوذ بك من:

١. الهم والحزن.
٢. والعجز والكسل.
٣. والجبن والبخل.
٤. وغلبة الدَّين وقهر الرجال.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٣).

جحود الغرب والإمبريالية المعرفية

م. طاهر صيام (*)

من الأمور السائدة في الثقافة الغربية اليوم نسبة النهضة العلمية المعاصرة إلى جذور يونانية بعيدة تبعد عنها قرونًا متطاولة، مع إبراز فلاسفة وعلماء ليسوا أحقَّ من يُذكر في النسيج المعرفي المعاصر، مع أن هذه الجذور اليونانية استفادت من غيرها وأخذت منها، بل إن الفضل في التأثير المباشر على النهضة المعاصرة يعود إلى حضارة أخرى، فما هي هذه الحضارة؟ ولماذا يتعمّد الغرب تجاهلها وجحودها؟

مدخل

التواصل بين الحضاراتِ قديم، فالحضارة بساطٌ أسهمت في نسجه أيد كثيرةٌ، وإن التدقيقَ في حضارة الشرق القديم أثبتَ أنه ليس هناك «مرجعيةٌ وسَبق يوناني» كما يدعي الغرب، لأن الحضارة اليونانية أخذت الكثير من الحضارات في مصر والشام والعراق وفارس، ويذكر المؤرخ ويل ديورانت: أن الإغريق لم يُبدعوا الحضارة؛ لأن ما وَرِثوه أكثرُ مما ابتدعوه، وقد ورثوا ذخيرةً من العلمَ والفن عمرها ثلاثة آلافِ سنة وصلت إليهم عن طريق الحروب والتجارة، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالعالم اليوناني «طاليس» زار مصرَ عدة مراتٍ، ونقل معه العلوم الهندسية، وفيثاغورس تعلم الرياضات في مصرَ وبابلَ، وانتقلت إلى اليونان الأبجديةُ الفينيقيةُ من أوغاريت، وكُتبَت بها اللغةَ اللاتينية[1].

الشمسُ الساطعةُ:

مع انقشاع الغبار عن عصر الحداثة وما بعدها، وسهولة معاينة المعارفِ إلكترونيًا ثم جهود الباحثين الصادقين، باتت شمسُ الحقيقة تضيء بأدلةٍ دامغةٍ، مفادُها أن: «**الغربَ هو غروبُ صباحٍ أشرقَ في بلادِ الشرق**»[2]، وهذه هي الحقيقة الّتي جَهدت أوروبا بكل وسيلة لأجلِ طمس أدلتِها الحسيةِ أو تجييرها بشتى التأويلاتِ، كِبْرًا وسَطوًا خِدمةً

(*) باحث في الحضارات والفكر، عمل في جامعة ولاية واشنطن.

(١) تاريخ الكتاب، لألكسندر سيبفتش، ترجمة الأرناؤط، ص (٢٤٦).

(٢) رحلة إلى مكة، لمراد هوفمان، ص (٢٢٥).

لأغراض شتى؛ منها: التعالي الحضاري والنفسي على البشرية، وقيادة العقول والأفكار، ثم غزو الأمم بزيف سبق التنوير والعلم والحداثة.

كما تتأكد هذه الرغبة الأوروبية منذ الحروب الصليبية مع شدة العداوة والحسد للمشرق المسلم، يغذيها الشعور بالنقص أمام أصحاب الفضل، فضلاً عن عنصرية وإمبريالية الغرب المادية والمعنوية التي لم تسلم من نهبها المعارف والعلوم، وما مثال «الداروينية الاجتماعية» إلا جزء من التسويغ اللاأخلاقي والعنصري لعقول مريضة، تؤمن بفوقيتها وبقاء جنسها الأصلح تحت دعوى الانتخاب الطبيعي![1].

لقد نعق الغربُ بكل دعوى لَيًّا لكل حقيقة، فساعة يصورون في خطابهم الداخلي الشوفيني أن الحضارة الغربية ما هي إلا امتداد سلس للإغريق والرومان، مرت بنكسة ونُعاس ثم واصلت إشعاعَها...! وساعات يُصرون على أن العربَ مجردُ ناقلين أمينين لعلوم اليونان، استردت منهم أوروبا إرثها القديم، متنكبين لحقيقة تنطق بأن أوروبا تتلمذت زهاء خمسة قرون على يد المسلمين، فلولا علومُ المسلمين لما دارت عجلة النهضة الأوروبية.

> **جَهدت أوروبا بكل وسيلة لأجل طمس الأدلة الحسية على نهوض الحضارة الغربية على أكتاف الحضارة الإسلامية أو تجييرها بشتى التأويلات، كِبْرًا وسَطوًا خِدمةً لأغراض شتى؛ منها: التعالي الحضاري والنفسي على البشرية، وقيادة العقول والأفكار، ثم غزو الأمم بزيف سبق التنوير والعلم والحداثة**

وتاليًا، عرضٌ ونقاشٌ لأهم تشابكات الانتقال المعرفي من الشرق إلى الغرب:

١. ميادين اللقاء بين الشرق والغرب:

انتقلت حضارة المسلمين إلى أوروبا بعلومها ومصنوعاتها ومحاصيلها الزراعية عبر قنوات متعددة، وكانت ميادين اللقاء فسحةً للتأثير والعطاء، وكثرَ الاحتكاكُ الأوروبي والنقلُ والاقتباسُ، ومن أهم تلك الميادين: الأندلس، وصقلية، والشرق العربي، ومناطق التوسع العثماني[2]:

- تؤكدُ «زيغريد هونكه» على فضل مسلمي الأندلس، إذ تقول: «ولم يبدأ ازدهارُ الغرب ونهضتُه إلا حينَ بدأ احتكاكه بالعرب سياسيًا وعلميًا وتجاريًا. واستيقظَ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم العربية من سُباتِه الذي دام قرونًا»[3].
- كما يمكننا ملاحظة أن دَور صِقليةَ في انتقال التراث الفكري العربي إلى بقية بلدان أوروبا كان له الشأنُ الكبيرُ. وبعد خروج المسلمين منها ظلت صقلية تعيش فسحةَ اللقاء، إذ ساعدت بفضل المسلمين على قيام حركةِ النهضةِ الإيطاليةِ مبكرًا في أوروبا. وأسس فريدريك الثاني في سنة ١٢٢٤م جامعة في «نابولي» وجعل منها أكاديميةً لنقلِ العلوم العربية إلى العالم الغربي[4].
- أما الصليبيون فأخذوا عن العرب استخدامَ البوصلةِ والاسطرلاب وآلاتِ الرصدِ الفلكي والحمامِ الزاجلِ. ونقل الصليبيون معهم تقنياتٍ جديدةً مثلَ طاحونةِ الهواء وصناعة الزجاجِ الملون، وزراعة القطنِ والمشمشِ والأرز وقصبِ السكر، وصناعة الورق التي لولاها لَما انتشرت الكتب والمعرفةُ بين الأوروبيين[5].

٢. بداية النقل الممنهج لعلوم المسلمين ودور الكنيسة فيه:

أثناء تتبُّع جذورِ الإمبرياليةِ المعرفية الأوروبيةِ التي كانت من أسبابِ غزو نابليون لمصرَ حيث اصطحب مئات العلماء والباحثين للتنقيب عن العلوم في المكتبات وغيرها، استوقفني إقرارُ المؤرخينَ -موسوعة غينيس- بأن «جامعةَ القرويين» في فاس كانت أولَ جامعةٍ في العالم، إذ أسستها فاطمةُ الفهريةُ كوَقفٍ، وصامَت حتى

(١) مصطلح «الإمبريالية المعرفية» أو العلمية تداوله هبرماس وفيبر، وعدّه المسيري جزءًا من الإمبريالية النفسية واستخدمه سامي عامري في كتابه «العلموية»، فيما رَغِبَ د. بشير زين العابدين بمصطلح يواكب الحاضر الشبكي وهو مصيب غير أننا هنا في سياقٍ تاريخي.

(٢) إسهامات العرب في النهضة الأوروبية، لمحمد أحمد، ص (٢٨٦).

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه، ص (٥٤١).

(٤) إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة، ص (٢٩٠).

(٥) نتائج الحروب الصليبية، لجوزيف بورلو، ترجمة ديمة الفوال، ص (٢٣٠).

اكتملَ البناءُ عام ٨٥٩م. لكن العلامةَ الفارقةَ هنا أن «البابا سيلفستر» درسَ فيها أسوةً بابنِ خلدون والفيلسوفِ اليهودي «موسى بنِ ميمون» الذي تأثر به ونقلَ بعضَ علومِه المشرقية كبارُ فلاسفةِ أوروبا كديكارت واسبينوزا وليبنيتز.

البابا سلفستر الثاني (توفي ١٠٠٣م) هو قطب الرَّحى ومهندسُ بدايةِ حركةِ نقلِ علومِ المسلمينَ إلى أوروبا بشكلٍ ممنهج وهو البابا الوحيدُ الذي (تعلم العربية) ثُم أوفدَ آلاف الطلبةِ الكنسيين وغيرهم من أوروبا إلى مدارس ومكتباتِ الأندلس. وقد اعتبر بعضُ المؤرخين أنّ «الاستشراق» يعودُ إليه، إذ قصدَ بلادَ الأندلس وتتلمذ على أساتذتِها في إشبيلية وقُرطبةَ، حتى أصبح أوسع علماءِ عصرِه الأوروبيين اطلاعًا، وقد زار واطلع على معارفِ العالمِ الإسلامي «كجامعة القرويين» المغربية، وإليه يرجع نقلُ الأرقام العربية والرياضياتِ والفلكِ إلى أوروبا[١].

كما تابع الدورَ نفسه مطرانُ طليطلةَ «ريموندو» بعد سقوطِها، والذي عمل مع جمعٍ من المطارنةِ على ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينيّة[٢].

٣. دور إمبراطور أوروبا شارلمان الحكيم:

حاول بعضُ المستشرقين نسبةَ فضل بداية نهضة أوروبا إليه، رغم أن عصرَه ومحاولاتِه لا تقوى على حجم الدعوى، فهو ذلك الامبراطور الذي أَسَرَتْهُ الدهشة -عند عودةِ وفدِه من بلاطِ هارونَ الرشيدِ- ناظرًا إلى اختراعٍ اسمُه: «الساعة»!

أما جهودُه العلمية فيتنَدَّرُ عليها لوبون قائلاً:

«وكان للعرب في إسبانية وحدَها سبعونَ مكتبةً عامةً، وكان في مكتبة الخليفة الحاكم الثاني بقرطبة ستمئةِ ألف كتاب، كما روى مؤرخو العرب، وقد قيل-بسبب ذلك-: إن شارلمان لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثرَ من تسعمئة مجلدٍ»[٣].

> **البابا سلفستر الثاني هو قطب الرَّحى ومهندسُ بدايةِ حركةِ نقلِ علومِ المسلمينَ إلى أوروبا بشكلٍ ممنهج، فقد قصدَ الأندلس وتتلمذ على أساتذتِها، وزار واطلع على معارفِ العالمِ الإسلامي «كجامعة القرويين» المغربية، وإليه يرجع نقلُ الأرقام العربية والرياضياتِ والفلكِ إلى أوروبا، وأوفد آلاف الطلبةِ الكنسيين وغيرهم من أوروبا إلى مدارس ومكتباتِ الأندلس، حتى اعتبر أنّ «الاستشراق» يعودُ إليه**

٤. فضل المسلمين على الثورة الكوبرنيكيّةِ العلميةِ الكبرى:

في عام ١٥٠٠م، أعلن كوبرنيك نظرية «مركزية الشمس ودوران الأرض»، فكانت من أكبرِ الثوراتِ العلميةِ والتجريبيةِ التي هزّت مكانةَ الكنيسة، وكان لها أثر مدوٍّ في الساحة الفكرية، وغيّرت مسارَ الفكرِ والعقل الأوروبي ونظرةَ الناسِ إلى مكانة الكنيسةِ العلمية، وإلى اللاهوتيةِ وعلوم اليونان فاتحةً الطريق إلى عصر تقديس العقل والتجريب ومذاهب التنوير والحداثة. وقد اشتركَ لاحقًا في تطويرِها ودفعِها شخصياتٌ علميةٌ، فسُجِنَ على إثرِها «غاليلو» وحرِقَ «برونو»، وطاردت محاكمُ التفتيشِ كلَّ من يهمسُ بها[٤].

اعتبر كتاب كوبرنيك حول «دوران الأفلاك» من أهم الكتبِ التي غيّرت وجه التاريخ[٥]. لكن السؤال: مِن أين أتى كوبرنيك بذلك؟

لقد قامت نظريته على نماذجَ فلكيةٍ عربيةٍ نُقلت من الطوسيّ وابنِ الشّاطر، فيما كان الكاتبَ الأول الذي وضع نقدًا منهجيًا للنموذج الفلكي الأرسطي ثم البطلمي هو ابن الهيثم في كتابه «الشكوك على بطليموس». كما صرّح دونالد هبل بأن كوبرنيك اقتبسَ عن كلٍ مِن البتاني والزرقالي في كتابه «دورة الأفلاك»[٦].

كما نوه المؤرخ الألماني ويلي هارتنر وإدوارد كينيدي بأن كوبرنيكوس استعملَ في كتابه رسمًا

(١) موسوعة المستشرقين، لعبدالرحمن بدوي، ص (١٧٨).
(٢) الإسلام في الأندلس وصقلية، لأمين الطيبي، مجلة كلية التربية، ص (٨٤).
(٣) حضارة العرب، لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ص (٤٣٤).
(٤) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي، لسلطان العميري، ص (٦٣).
(٥) كتب غيرت وجه العالم، ص (٢٤٩).
(٦) العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، لدونالد هيل، ترجمة أحمد فؤاد، ص (٣١).

مماثلاً جدًا لرسم موجودٍ في كتاب الطوسي «تذكرة في علم الهيئة»[١].

> **الثابت بلا ريب أن منطقَ أرسطو وفلسفةَ اليونانِ لم يكنْ لهما تأثيرٌ طاغٍ ومستمر على المسلمينَ فضلاً عن عدمِ تأثرِ العلوم التطبيقيةِ والتجريبيةِ بها جوهريًا، بل وسُجل لعلماء المسلمين الريادة في نقدها علميًا**

٥. أوروبا ودعوى مصدرية علوم اليونان، والقنطرة الأرسطية:

يُصر الغرب على أن العرب مُجرد ناقلين لعلوم اليونان وفلسفتها، وأن أوروبا استردت منهم إرثها القديم مُتذرّعين (بمرجعية) وتأثير «المنطق الأرسطي» وفلسفة اليونان على طوائف من المفكرين المسلمين، لكن الأوروبيين عظّموا كثيرًا ابنَ رُشدٍ بالذاتِ لكونِه أكثرَ مَن نَظّر لفلسفة أرسطو.

غير أنه لا يصحُ كذلك أن يُجَيّرَ هذا الاحتفاءُ الأوروبي بابنِ رشدٍ لسياق نقلِ العلومِ التجريبية إلى الغربِ، لأنَ ابن رُشدٍ لا يمكنَ أن تُنسَبَ إليه جلّ علوم المسلمين التجريبية، وليس من المعقولِ أن يتغنّى بفضلِه رائدا العلمِ التجريبي في بريطانيا: «روجر وفرانسيس بيكون» رغمَ عداوةِ الاثنينِ الشديدةِ لفلسفةِ أرسطو -التي اتخذها ابن رشد- واعتبروها كغالب علماء أوروبا سببًا في تخلف علومهم.

وإلى ذات الحقيقة يشير مونتجومري: «اهتمامُ الأوروبيينَ بأرسطو لا يرجعُ إلى المقوّماتِ الأساسيةِ لفلسفتِه وحسب، وإنما يرجعُ كذلك إلى انتمائِه إلى تاريخهم الأوروبي. إن إحلالَ أرسطو مكانَ الصدارةِ في الفلسفةِ والعلومِ ينبغي النظر إليه باعتبارِه مَظهرًا لرغبةِ الأوروبيين في تأكيد اختلافهم عن المسلمين، ولم يكن هذا التنكُّر للإسلام أمرًا سهلاً خاصةً بعد كل ما تعلّمه الأوروبيون من علوم العرب»[٢].

في المقابل، الثابت بلا ريب أن منطقَ أرسطو وفلسفةَ اليونانِ لم يكن لهما تأثير طاغٍ ومستمر على المسلمين فضلاً عن عدمِ تأثرِ العلوم التطبيقيةِ والتجريبيةِ بها جوهريًا، يقولُ ابن تيمية: «إن نُظّار المسلمينَ ما زالوا يُصنّفون في الردّ عليهم في المنطق وغيرِه، ويبيّنون خطأهم فيما ذكروه في الحدِّ -يقصدُ الأرسطي- والقياسِ والإلهيّاتِ، ولم يكن أحدٌ من نُظّار المسلمين يلتفتُ إلى طريقتهم، بل سائرُ الطوائفِ كالأشعريّة والمعتزلةِ كانوا يعيبونها، وأوّل من خَلطها بأصولِ الدينِ هو الغزالي...»[٣]. بل يقول محمد إقبال، ونحو ذلك أبو الحسن الندوي: «ولقد كان السهرَوَردي وابنُ تيميةَ هما اللذين نهضا إلى نقد المنطقِ اليوناني نقدًا علميًا منظّمًا»[٤].

٦. دور العلم التجريبيّ «والاستقراء» عند المسلمين في النهضةِ الأوروبيةِ:

أ. الاستقراء: من المعلوم أن الاستقراءَ هو الانتقالُ من الوقائع -الجزئيات- إلى القوانين، والذي يعدُّ من أسس التجربةِ العلميةِ، فالاستقراءُ ينتقلُ من ظواهرِ الطبيعةِ الواقعيةِ والقائمةِ على مبدأ العِلّيّة والسببية والاطّراد، إلى القوانين الطبيعيةِ التي أوجدها الله في الكون، وعملَ الإنسانُ على اكتشاف هذه القوانين التي كان لها الأثر الكبير في التقدمِ العلمي للإنسان عن طريق التجربةِ.

وقد طبّقَ هذا المنهجَ علماءُ المسلمين التجريبيون منذ القرن الثاني الهجري، ثم نَظّرَ ابنُ تيمية له ونادى بهذا الطريق العلمي قبل أي عالم غربي؛ إذ إن مصدرَ العِلّيّة عنده هو الخبرةُ الإنسانية[٥]. كما مارس الاستقراءَ العزُّ بنُ عبدالسلام والشّاطِبي في مقاصدِ الشريعةِ بطريقةٍ بديعة.

ب. **تأثير ابنِ تيميةَ في الفكرِ الغربي ونهضةِ العلمِ التجريبيّ:** «كان ابنُ تيميةَ شخصيةً ذاتَ طرازٍ عظيم؛ فهو فقيهٌ ومتكلّمٌ ناقدٌ استثنائي للمنطق الأرسطي والفلاسفة». هكذا ابتدأت الباحثة (أنكه كوجلجن) -الأستاذة بجامعة برين للعلوم الإسلامية- بحثًا مطولاً عن نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطيّ ومشروعه المضادّ.

---

(١) وماذا لو سرق الغرب أسس ثورته العلمية من علماء العرب؟ مقال الفلكي سليم زاروبي.
(٢) فضل الإسلام على الحضارة الغربية، لمونتجومري، ترجمة حسين أمين، ص (١٠٧).
(٣) الرد على المنطقيين، لابن تيمية، ص (٣٣٧).
(٤) تجديد الفكر الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، ص (١٥٥).
(٥) الرد على المنطقيين، لابن تيمية، ص (٢٠٩).

ويتركز موضوع البحث حول محورين:

- أوجُه النقد التي وجّهها ابنُ تيمية للمنطق الأرسطيّ والإغريق.
- إلى أي حدٍّ تأثرت المذاهب الغربية بهذا النقد، وخاصةً (المذهب التجريبي) الذي قامت عليه الحضارة الغربية[١].

ج. بعضٌ من شهادات المؤرخين في مصدرية المنهج التجريبي:

» يقول سيديو: «استطاع المسلمون -بتركيز أفكارهم على الحوادث الفرديةِ- أن يُطوّروا المنهج العلمي إلى أبعد مما ذهب إليه أسلافهم اليونان، وإليهم يرجع الفضل في استخدام النهج العلمي في أوروبا في العصور الوسطى»[٢].

» ويقرر المستشرق الكبير غوستاف لوبون: «لم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر عالم تجاوز نسخَ كتبِ العربِ والتعويلَ عليها وحدها، وهذا يشمل جاليلو ودافنشي وفرانسيس بيكون رائد المنهجِ التجريبي في أوروبا...». ثم اقتبس لوبون من كلام «دولنبر» في كتاب (تاريخ علم الفلك): «عُدَّ راصدَين أو ثلاثة بين الأغارقة وتَعدُّ عددًا كبيرًا من الرصّادِ بين العرب، وأما في الكيمياء فلا تجد مُجرّبًا يونانيًا! مع أن المجرّبينَ من العرب يُعدّون بالمئات»[٣].

» بينما يسخر «بريفلوت» من نسبة علماء أوروبا العلمَ التجريبي إليهم: «لقد درَسوا العلم التجريبي من المسلمين، وتعلمَ روجر بيكون العربية في أوكسفورد. وليس لروجر ولا لسميِّه فرانسيس بيكون الفضلُ باكتشاف المنهج التجريبي... هم كانوا مجرّدَ نقلةٍ لعلوم المسلمين إلى الغرب...»[٤].

> **لم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر عالم تجاوز نسخَ كتبِ العربِ والتعويلَ عليها وحدها، وهذا يشمل جاليلو ودافنشي وفرانسيس بيكون رائد المنهجِ التجريبي في أوروبا**
>
> غوستاف لوبون

(١) تأثير ابن تيمية في الفكر الغربي، مقال لأحمد فتيحي، شبكة الألوكة.
(٢) روائع وطرائف، لإبراهيم النعمة، ص (٣٨).
(٣) حضارة العرب، لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ص (٤٣٧،٥٦٨).
(٤) تكوين الإنسان، لبريفولت، ص (٢٠٢)، كما نقله سيد قطب في كتابه: الإسلام ومشكلات الحضارة.

» وتقول المحقّقة الألمانية زيغريد هونكه: «إن العرب لم يُنقِذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونَظّموها وأهدوها إلى الغرب فحسب، بل إنهم مُؤسِّسو الطرق التجريبيةِ في شتى العلوم، واكتشفوا عددًا لا يحصى من الاختراعاتِ التي سرقها الغرب ونسبها لغيرهم... لقد قدّم العربُ أثمن هديةٍ، وهي طريقةُ البحث العلمي الصحيح، والتي مهّدَت للغرب طريقه لمعرفةِ أسرارِ الطبيعة التي تسلّطَ عليها اليومَ ...»[١].

٧. تطرُّف معرفي غربي بين التجريبية الحسية والشكّ العقلي:

يقول د. سعود العريفي: «وسيظهر جليًا لمن يطالعُ ما يأتي من خلاصة «للنقد التيميّ» للمنطق: أن موقفَ فرانسيس بيكون من المنطق الأرسطي يكادُ يكون مُستنسَخًا من النقد التيميّ...». وكلام د. العريفي هنا جاء بعدَ اقتباسه عن العقّاد والشاروني والطبطبائي حول إعلانِ بيكون في كتابه «الأورغانون[٢] الجديد» موتَ «أورغانون أرسطو» العقيم، مقترحًا اعتمادَ البحث التجريبيّ على «الاستقراء» -الذي سبقَهم إليه ابنُ تيمية- وذلك بفحصِ الأجزاء مخبريًا واستخلاصِ الكليّاتِ منها -يقصدُ القوانين- قادحًا بطريقة أرسطو القائمة على الاستدلال بالكليّاتِ - يقصدُ القياسَ الأرسطيَّ العقليّ[٣].

لقد صرّح بنظير ذلك أصحابُ المذهب «الحسيّ التجريبيّ» أمثال لوك وهيوم وباركلي وميل وداروين وبرتراند رسل، رغم أنهم في المقابلِ احتفظوا بشذوذاتٍ نقيضةٍ ومتفاوتةٍ فيما بينهم، كالغلوّ في «المعطيات الحسيّة»، وتمسّكوا بالحس والاستقراء التجريبيّ فحسب، وغلَوا في قطعيته، قبل أن يُدخلَهم ديفيد هيوم في حيرة شرطِ الاستقراءِ التامّ -تجربة كلّ الجزئياتِ والوقائع- ليتراجَعوا نوعًا ما على لسان الملحد «برتراند رسل» الذي صرّح بأن: «الاستقراءَ باتَ احتماليًا، لكن علينا أن نتمسّكَ به»!

كذلك (نفى) الحسّيون والتّجريبيّون القياسَ العقليّ الصحيح (والسببيّة)؛ بينما جمعَ ابنُ تيميةَ بين المعرفة الفطريّةِ والوحي والغيبياتِ والعقل والحس كلاً في منزلته مُعمِلاً كل أدواتِ الاستدلال؛ كالاستقراءِ والقياسِ الشموليّ والتمثيليّ، أي: الاستقراءُ من الجزءِ إلى الكلّ، والقياسُ من الكلّ إلى الجزء، والتمثيلُ بين الأجزاءِ. وهذا ما عجزَ عن جَمعِه فريقا «ديكارت» العقليّ القياسيّ، «ولوك» الحسيّ الاستقرائيّ لاضطرابِ فلسفتِهم[٤]. فالمعرفة عندهم تبدأ بالتجربة الحسية وتنتهي بها، وهذا هو عين المذهب المادي ومنبع الإلحاد، وبالتالي ما لبثت وأن انبثَقت عنهم مذاهب اللاأدرية والوضعية المنطقيّة والماركسيّة والبراغماتيّة.

يختصر لنا د. مازن هاشم بعض هذا الغلوّ في العلمويّة والتجريبيّة، مستنتجًا: «الإشكال هو اختزالُ النّهضة العلميّة إلى المنهجِ التجريبيّ. ثم الإشكال هو اختزالُ المنهجِ التجريبيّ إلى النطاقِ المخبريّ، وكأن المخبرَ يعيشُ في فراغٍ فيزيائيّ مُطهّرٍ عن عوامل الاحتكاكِ البشري والثقافي»[٥].

٨. هوفمان وسيزكين والسلومي يبحثون عن الحقيقة:

يُجملُ لنا د. محمد السلّومي في كتابه الشيق: «هوفمان رؤيته في احتضار الغرب» بعض الجهود العلميةِ الرائدة في سَبر هذه القضيةِ الحضاريةِ الأخلاقيةِ:

«أوضحت بعضُ النصوصِ المقتبسة ضعفَ أو غيابَ (الأمانة العلمية) لدى بعضِ أربابِ الفكر الغربي عند بدايته الحضارية. وهو ما يتطلبُّ زيادةَ البحثِ والتقصي حول الادعاءِ الغربي عن نشأة عُلومه ومعارفه، وذلك بالتحقق الجاد عن أصولِ كثيرٍ من الكتب العلمية في العلومَ التطبيقية، حيثُ إن أَصلَ الهيمنةِ النفسية للحضارةِ الغربية جاءَ من التعالي بعلومها التجريبية.

وقد عمِلَت «إلينا ميخايلونفا» على شيءٍ من هذا التقصي!

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، لزيغريد هونكه، ص (٤٠٠-٤٠٢).

(٢) الأورغانون هي مجموعة كتب أرسطو في المنطق. و«أورغانون» كلمة إغريقية تعني «الآلة». وسميت بهذا الاسم لأن المنطق عند أرسطو هو «آلة العلم» أو وسيلته للوصول إلى الصواب.

(٣) النقد التيميّ للمنطق، لسعود العريفي، ص (١٥٩).

(٤) ينظر في: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، لسلطان العميري، ص (٣٠٤، ٣١١، ٤٧٢، ٥٠٥). للاستزادة: ينظر في: مدخل إلى نظرية المعرفة، للكرساوي، ص (٨١-١٠٤).

(٥) مقال العلم وسياقه الحضاري، لمازن هاشم، مجلة الرشاد.

علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية المعاصرة بين الحقيقة والادعاء

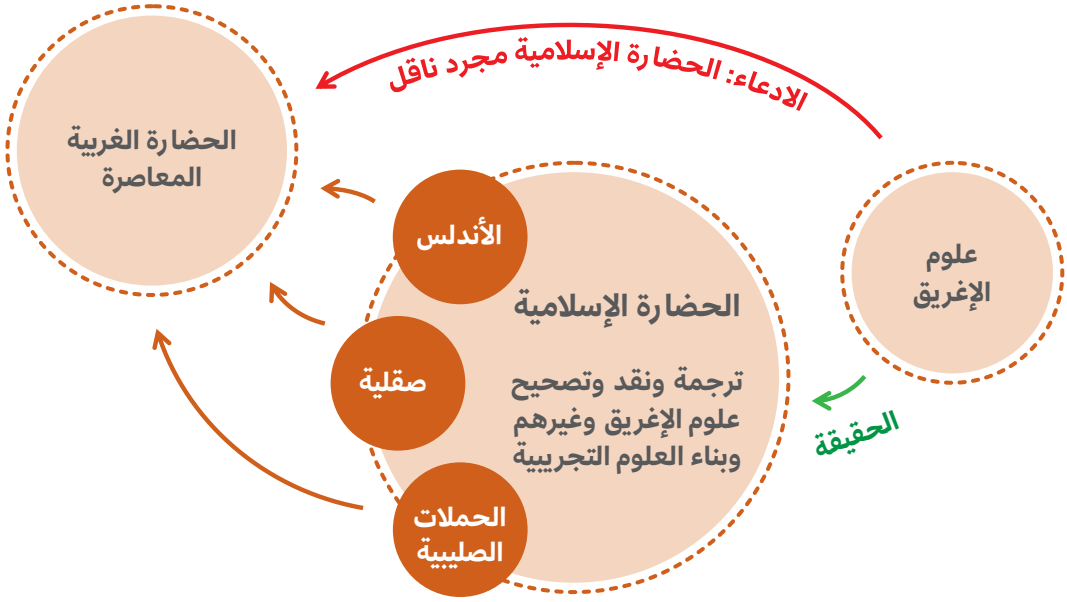

وهناك بحوثٌ ودراساتٌ لغيرها من المتخصصين، وعن هذه الاقتباساتِ والسرقاتِ كتبت بعضُ المصادر الأجنبية، ومنها:

أ. د. تشالويان، الشرق والغرب: الاستمراريةُ في فلسفةِ المجتمعِ القديمِ والقروسطيو.

ب. د. غايدينكو، والبروفيسور سميرنوف، علومُ أوروبا الغربية في العصورِ الوسطى.

ج. المستشرق الروسي الشهير بارتولد، أعمال في تاريخ الاستشراق.

وتُعد بحوثُ الألماني التركي «فؤاد سزكين» مرحلةً أولى في هذا المشروع، خاصةً أن «سزكين» عمل من خلال مركز علمي حوالي ستين سنة، مع فريق علمي من ألمانَ وأتراكٍ وعربٍ، على التدوينِ التاريخي عن المؤلفاتِ والمؤلفينَ من المسلمين. إضافةً إلى معرفةِ أصولِ الكتبِ الأوروبية في العلوم، وخاصةً «الطبيعية» منها؛ لإرجاعِها إلى أصولها المعروفة.

وقد نجح هذا الفريق -حسب قول د. المقرئ الإدريسي- في أن يصل إلى أكثر من مئةٍ وخمسين ألف كتاب. واستطاعوا أن يفحصوا أكثر من أربعين ألفًا منها، وأن ينشروا تعريفًا لما يزيد عن خمسةٍ وثلاثين ألفَ كتابٍ بتعريفٍ عن أصولِها العربيةِ!

ومما يمكن أن يثريَ هذا الموضوع، كتابُ: (ألفُ اختراعٍ واختراعٍ من التراثِ الإسلامي في عالمنا)، والمحرِّرُ المسؤولُ هو سليم الحسني رئيس مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة FSTC، بمشاركة ٢١ أستاذًا»[1].

٩. سَطوٌ أم مَحضُ مصادفة:

بعد كشف الأصولِ العربيةِ «للنظرية الكوبرنيكية»، تمكن الباحث التونسي الراحل عثمان الكعاك من العثور على ترجمةٍ لكتاب: «المنقذ من الضلال» للغزالي في مكتبة ديكارت الخاصة بمتحفه في باريس، وفي إحدى صفحاتها إشارةٌ بالأحمر تحت عبارة الغزالي الشهيرة: «الشكّ أولى مراتبِ اليقينِ»، وعليها حاشية بخط يد ديكارت بعبارة: «تُنقَل إلى منهجنا»!

(١) هوفمان: رؤيته في احتضار الغرب وصعود الإسلام، لمحمد السلومي، ص (٢٨٤-٢٨٨) بتصرف بإذن المؤلف مشكورًا.

كما أكد محمود زقزوق في كتابه: «المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت»، والبهبيتي في كتابه: «المدخل إلى دراسة التاريخ» على أن ديكارت قد سرق من «الغزالي». وما ذكره الكعاك مكتوب في محاضر المؤتمر العاشر للفكر الإسلامي، المنعقد في عنّابة عام ١٩٧١م[١].

١٠. أسئلة مشروعة:

- لماذا رفضت ألمانيا نقل مكتبة العالِم التركي سيزكن إلى تركيا حسب طلب ورثتِه؟ أليست تلك إمبرياليةً معرفيةً؟!
- وذات السؤال يُوجّه إلى: (مكتبة الفاتيكان) الكبرى التي فيها آلاف الكتب العربية المترجمة والممنوع معاينتها!
- لم لا تسمح المكتبةُ الوطنيةُ في باريس لأي باحثٍ عربي أن يتحقّقَ من الأمرِ الذي اكتشفه الكعاك؟!

دوهرنج يُعلنُها مدويّةً:

«... لقد استقى روجر بيكون ما حصّله من علوم من جامعات الأندلس، وهي أدقّ من علوم سميّه فرانسيس بيكون. والقسم الخامسُ من كتابه «Opus Majus» في البصريّات هو في الحقيقة نسخةٌ من كتاب «المناظر» لابن الهيثم!»[٢].

وعلى هذا المنوال سنجد: «قوانين الحركة الثلاث» لابن ملكا البغدادي. وكذلك القول «بجاذبية الأرض» التي نص عليها الإدريسيّ في «نزهة المشتاق» قائلاً: «والأرضُ جاذبةٌ لما في أبدانهم من الثّقل؛ بمنزلةِ حجر المغناطيس الذي يجذبُ الحديدَ إليه»، وهذا القول منقولٌ أصلاً في القرن الثالث الهجري عن «ابن خُرداذْبَه» الذي نص أيضًا في عباراته على كرويةِ الأرض[٣].

كلمةُ إنصاف:

كون المسلمين هم أصحاب «العلوم المؤسسة»، فهذا لا ينفي أن الغرب بلغوا بها شأوًا بعيدًا. كما أننا نسجل لجمعٍ منهم تواصُلَهم الحضاري المنصف كغوتيه وفيكتور هوغو وموريس بوكاي وأليكسيس كارل وبرنارد شو وتولستوي ولامارتين.

كما لا يعني ما سبق، عدم التنبه إلى أن المسؤولية قد تقع في حالاتٍ على مترجمي وناسخي أبحاث المسلمين، وكذلك على ناقلي أبحاث علماء أوروبا الذين يحذفون منها ما يدل على «مصدرية» المسلمين.

من أهم ما ينبغي العمل عليه تعريف أجيال المسلمين بأسبقية أُمَّتهم الحضارية والعلمية وفضلها، وبث هذه الحقائق في الإعلام، وعن طريق الأبحاث والدراسات، والقيام بحركة «استرداد» للعلوم وتسخيرها لنهضة حضارية إسلامية

توصيات عملية:

١. تعريف الأجيال في المناهج الدراسية والبيتية بأسبقية الأمة الحضارية والعلمية وفضلها واجبٌ تربوي ونفسي يحفظ الهوية ويعزز الثقة والطموح، ويسهم في رد عادية مليشيات العلمانية والإلحاد.

٢. ينبغي بث الحقائق السابقة إعلاميًا بشكل دؤوب، والتعريف بها في كل محفل مهتم دوليًا.

٣. عقد الندوات العلمية والدراسات وتضمينها في مساقات مواجهة الإلحاد والعلمانية ودعوة غير المسلمين.

٤. مخاطبة المؤسسات الفكرية والروابط العلمية لأخذ مبادرة جماعية بهذا الصدد.

٥. تبيان أثر هذه المعرفة في الدافعية للعلم عمومًا، وفي طلبه عند الغرب خصوصًا.

٦. القيام بحركة «استرداد» للعلوم وتسخيرها لنهضة حضارية إسلامية، (والاسترداد لا يعني بالضرورة إرجاع الأصل، بل النهل من العلوم الموجودة حاليًا والمبنية على تراث المسلمين).

٧. استكمال دور سزكين وأمثاله في هذا المجال.

(١) هل ديكارت سرق من الغزالي؟ مقال لعماد الدين الجبوري، إندبندت العربية الإلكترونية.
(٢) نقله سيد قطب في كتابه الإسلام ومشكلات الحضارة، ص (٥٧).
(٣) المسالك والممالك، لابن خُرْداذْبه، ص (٤).

هل أوصى الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه بالخلافة يوم غدير خم؟

أ. عبد الناصر حسن صويص(*)

هذه الحادثة كغيرها من حوادث السيرة النبوية؛ وقع فيها ما يستدعي التوضيح والبيان، فوقف الرسول ﷺ واعظًا ومبينًا، وسرعان ما انتهت دون رواسب أو آثار؛ لصفاء قلوب الصحابة رضي الله عنهم، وكمال أخلاقهم. لكن أهل الأهواء والشهوات عجزوا عن إيجاد ما يرومون إليه في هذه الواقعة، فعمدوا إلى ليِّ أعناق النصوص بالتفاسير الباطلة، واختلقوا روايات أخرى؛ ليتوصلوا إلى ما اعتقدوه ابتداء. وفي هذا المقال بيان لحقيقة وقائع هذه الحادثة.

يستغلُّ أعداء الحقِّ جهلَ الناس وقلةَ بضاعتِهم في العلم بإثارة الشبهات؛ للنيل من الحق وأهله، ونشر باطلهم وتزييفهم والتلبيس على أتباعهم وخداعهم.

والرافضة مِن أكثر الناس استغلالاً لهذا الأمر؛ بإثارةِ الشبهات، واختلاقِ روايات مَكذوبةٍ لا أصلَ لها، ولَيِّ أعناق النصوص الصحيحة، وتزويرِ التاريخ؛ لخدمة أغراضِهم وعقائدِهم المنحرفة، ومِن تلك المسائل التي يثيرون حولها الشبهات: قصة (غَدِير خُمّ)؛ حيث بلغ بهم الغُلو في تعظيم ذلك اليوم أن كفَّروا به الصحابةَ رضي الله عنهم، وصيّروه عيدًا يُحتفل به، وفضّلوه على يوم عرفة، وبنَوا عليه عقائدَهم، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فزعموا أن قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أنزل في هذا اليوم بعد أن اكتمل الدين بإبلاغ الصحابة أن الولي والوصي والخليفة من بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

فما حقيقة حادثة يوم الغدير؟ وهل أوصى النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بالخلافة وجحدها الصحابة؟ وهل كان الصحابة يُبغضون عليًا ويُبغضهم؟ رضي الله عنهم أجمعين.

في هذا المقال إجابة عن هذه الاستفسارات بالاعتماد على الروايات الصحيحة وروايات أهل البيت رضي الله عنهم بمن فيهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

(*) دبلوم دراسات إسلامية، خطيب وداعية.

(١) ينظر: مجمع البيان، للطبرسي (٣/٣١٣-٣١٤) والأمالي، للمفيد (١٧٤) والأمالي، للطوسي (١/١٩٤) وبحار الأنوار، للمجلسي (٣٤/١٣٥).

أحداث سبقت قصة الغدير:

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن، فأصاب غنائم فكتب إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا مَن يُخَمِّسُه، فبعث عليًا. فحدث بين علي وأصحابه أشياء منها:

» لما أخذ عليٌّ ﷺ إبل الصدقة سأله جماعةٌ أن يركبوا منها ويُريحوا إبلهم فأبى عليهم، فلما تعجَّل لإدراك الحج واستخلف عليهم سألوا الذي استخلفه ركوبَ الإبل ففعل، فلمّا علم عليٌّ ﷺ لام الذي أمره، فأظهر الجيش الشكاية لما لقوه من التضييق.

» قَسَمَ عليٌّ ﷺ الغنائم على الجيش، فصار في سهمه جارية هي أفضل ما في السبي، فأنكر عليه أصحابه ذلك، فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له. وكان الذين أظهروا الشكاية أربعة من الصحابة، وهم: بُريدة بنُ الحصيب، وأبو سعيد الخدري، وعمرو بن شاس الأسلمي، وسعد بن أبي وقاص، ﷺ أجمعين.

أحداث يوم الغدير:

«خم» هو غدير ماء يقع بين مكة والمدينة، بالقرب من ميقات الجُحْفَة، نزل به النبي ﷺ في طريق رجوعه من حجة الوداع، وخطب خطبة تحدث فيها عن فضل علي بن أبي طالب ﷺ بعدما شكاه عدد من الصحابة إليه.

عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا، بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: (وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[١].

وعن البراء بن عازب، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟) قالوا: بلى، قال: (ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟) قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: (مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه) قال: فلقيه عمر ﷺ بعد ذلك، فقال له: «هنيئًا يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[٢].

خطبة الرسول ﷺ في غدير خُم كانت لبيان فضل علي ﷺ وأمانته وعدله وقُربه منه، وإزالة ما وقع في نفوس عدد من الصحابة تجاهه

سبب حادثة غدير خم:

سبق أن ذكرتُ أنه وقع بين عليّ وعدد من الصحابة ﷺ خلاف في عدد من المسائل، ظنُّوا أنَّها من الظلم والجَور عليهم، واشتكوا لرسول الله ﷺ، فلما وجد فرصة للتوضيح والبيان قام فيهم خطيبًا موضحًا لحقيقة الأمر، ومزيلاً لما علق في النفوس من بغض الخلافات.

قال ابن كثير رحمه الله: «خطب النبي ﷺ، بمكانٍ بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريبٍ من الجحفة، يقال له: غَدِيرُ خُمٍّ. فبين فيها فضلَ علي بن أبي طالب، وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المَعْدَلَةِ[٣] التي ظنها بعضهم جورًا وتضييقًا وبخلاً، والصواب كان معه في ذلك، ولهذا لما تفرغ عليه الصلاة والسلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بَيَّنَ ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء، وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه، ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه»[٤].

وقال في ذلك اليوم: (من كنت وليَّهُ فعليٌّ وليُّه)[٥]، وهذا من أوضح البيان أنَّ خطبة يوم الغدير كانت لبيان فضل عليّ ﷺ وأمانته وعدله وقربه منه، وإزالة ما وقع في نفوس عدد من الصحابة تجاهه.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).
(٢) أخرجه أحمد (١٨٤٧٩).
(٣) المعدلة: الحكم العدل الذي حكم به علي على من معه.
(٤) البداية والنهاية، لابن كثير (٦٦٦/٧)، وينظر: الاعتقاد للبيهقي، ص (٣٥٤).
(٥) أخرجه أحمد (٢٢٩٦١) والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٨٨).

ردود على الشبهات التي يثيرها الرافضة في هذه الحادثة:

١. متى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؟

يدعي الرافضة أن تعيين علي كان من تمام الدين إذ لم يتفرق الناس يوم الغدير حتى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وهذا افتراء قامت الأدلة على بطلانه؛ فالآية نزلت على النبي ﷺ وهو على ناقته يخطب الناس يوم عرفة، التاسع من شهر ذي الحجة في حجة الوداع، وهذا باتفاق علماء الأمة من المحدثين والمفسرين وأهل السير، والخبر في الصحيحين، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: «أي آية؟» قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة»[١].

بينما حادثة الغدير حصلت في الثامن عشر من ذي الحجة في طريق عودة النبي ﷺ من حجة الوداع.

٢. هل كتم الصحابة وصية يوم «غدير خم»؟

يزعم الرافضة أن الصحابة كتموا هذا الحديث[٢]، وأنهم أخفوا هذه القصة ولم يرووها حتى لا يُقرُّوا بأحقية علي رضي الله عنه بالخلافة.

وهذا كذب، فأهل السنة رووا قصة غَدِير خُمٍّ عن جمع من الصحابة الكرام بلغت حد التواتر؛ فقد روى حديث: (من كنت مولاه فإن عليًا مولاه) أكثر من ثلاثين صحابيًا، منهم: بريدة الأسلمي وعلي وزيد بن أرقم وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبو سعيد الخدري وأبو الطفيل عامر بن واثلة وجابر بن عبدالله وأبو هريرة والبراء بن عازب وأبو أيوب الأنصاري، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[٣].

وأما قوله: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)[٤] فزيادة قوية الإسناد مروية عن عدد الصحابة، قال ابن كثير: هذا إسناد جيد، ونقل عن الذهبي قوله: وهذا حديث صحيح[٥].

فأين الزعم أن الصحابة كتموا هذا الأمر بغضًا في علي؟ رضي الله عنهم أجمعين.

> **المستقر عند أهل الحديث والسِّير أن رسول الله ﷺ لم يُوصِ لأحد بشيء في شؤون الحكم والخلافة، جاء ذلك في عددٍ من الأحاديث، وبعضُها مرويٌّ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل البيت الكرام**

٣. هل أوصى النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بالخلافة يوم الغدير؟

المستقر عند أهل الحديث والسير أن رسول الله ﷺ لم يُوصِ لأحد بشيء، نص على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ في عدد من الأحاديث، منها:

عن طلحة بن مصرف قال: «سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا. قلت: فلم كتب على المسلمين الوصية؟ أو: فلم أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل»[٦].

وعن الأسود قال: «ذكروا عند عائشة أن عليًا كان وصيًا، فقالت: متى أوصى إليه؟»[٧].

وقال العباس لعلي رضي الله عنه: «اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر [أي: الخلافة]، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا»، فقال علي: «إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعَناها لا يعطيناها الناس بعده[٨]، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ»[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧).
(٢) ينظر: بحار الأنوار، للمجلسي (٣٣٣/٢٢) و(١٥١/٣٣) والكافي، للكليني (٢٤٥/٨).
(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني (٢٣٢).
(٤) أخرجه أحمد (١٨٤٧٩) عن أبي هريرة، و(٩٦١) عن علي، و(٩٦٢) عن البراء، و(١٩٢٧٩). والنسائي في السنن الكبرى (٨٤١٠) عن زيد بن أرقم، و(١٩٣٠٢) والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٩٢) عن أبي الطفيل.
(٥) ينظر: البداية والنهاية (٦٦٨/٧)، و(٦٧١/٧) و(٦٧٦/٧).
(٦) أخرجه البخاري (٢٧٤٠) ومسلم (١٦٣٤).
(٧) أخرجه مسلم (١٦٣٦).
(٨) لا يعطيناها الناس: أي: الخلافة ويحتجون بمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم.
(٩) أخرجه البخاري (٤٤٤٧).

ملخص قصة غدير خُم بين الحقيقة ودعوى الرافضة

الحقيقة

» حصول خلاف عادي بين الصحابة رضي الله عنهم.
» ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الغدير فضل علي رضي الله عنه والحث على ولايته وولاية آل البيت.
» زوال ما كان في نفوس بعض الصحابة على علي رضي الله عنه بعد التوجيه النبوي

دعوى الرافضة

» وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بالخلافة
» نزول آية إكمال الدين الإسلامي يوم الغدير
» اتخاذه يوم الغدير عيداً
» كتمان الصحابة لخبر يوم الغدير

٤. هل معنى المولى في الحديث: الحاكم والخليفة؟

استدلَّ الرافضة بحديث: (من كنت مولاه فعلي مولاه)[١]، على أحقية علي ﷺ بالخلافة، وزعموا أن سلمان ﷺ قال: يا رسول الله، ولاء ماذا؟ فقال: (ولاء كولائي، من كنت أولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه) وأنه ﷺ قال يومها: (عليٌّ أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن من بعدي)[٢].

وهذه الزيادة باطلةٌ لا أصل لها، والمعنى الذي ذهبوا إليه غير صحيح؛ فالمولى في اللغة يُطلق على عدة معان منها: المالك، والعبد، والمُعتِق، والمُعتَق، والصاحب، والقريب، والحليف، والنزيل، والشريك، والولي، والرب، والناصر، والمُنعِم، والمُنعَم عليه، والمحب، والتابع، والصهر... وغيرها[٣].

والمراد «بالموالاة» في الحديث: ولاء الإسلام ومودته، فالموالاة ضد المعاداة، والمقصود في الحديث: أنه ينبغي على المسلمين أن يوالوا عليًا ولا يعادوه، لما سبقت الإشارة له من حصول الخلاف بينهم، وهو في معنى قول علي ﷺ: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: أنه لا يحبُّني إلا مؤمن ولا يُبغضني إلا منافق»[٤].

وهذا الحسن بن الحسن بن علي ﷺ ينفي وصية النبي ﷺ بالإمارة لجده علي موضحًا هذه العبارة عندما سأله رجل: ألم يقل رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فإن عليًا مولاه) قال: «بلى، أما والله لو يعني بذلك رسولُ الله ﷺ الإمارةَ والسلطان لأفصح لهم، وما كان أحد أنصح للمسلمين من رسول الله ﷺ، لقال لهم: أيها الناس، إن هذا ولي أمركم، والقائم لكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، والله ما كان وراء هذا شيء، والله إن كان الله ورسوله اختارا عليًا لهذا الأمر والقيام للمسلمين به من بعده، ثم ترك علي ﷺ ما اختار الله له ورسوله أن يقوم به حتى يعذر فيه إلى المسلمين، إن كان أحدٌ أعظم ذنبًا ولا خطية من علي ﷺ إذ ترك ما اختار الله له ورسوله حتى يقوم فيه كما أمره الله ورسوله»[٥].

(١) حديث صحيح سبق تخريجه.
(٢) ينظر: بحار الأنوار، للمجلسي (٣٠٣/١٧) وتفسير نور الثقلين (١٩٢/٣) بلا سند صحيح.
(٣) ينظر: القاموس المحيط (١٣٤٤).
(٤) أخرجه مسلم (٧٨).
(٥) السنة للخلال (٣٥٠/٢) رقم (٤٦٥)، والاعتقاد للبيهقي (٣٥٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (١٤٥١/٨) رقم (٢٨٠٣).

قال أبو نعيم: والولي والمولى في كلام العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، أي، لا ولي لهم، وهم عبيده وهو مولاهم، وإنما أراد لا ولي لهم. وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧][١].

وفيما سبق من نصوص بيان فضل علي ﷺ وأنه يستحق المولاة ظاهرًا وباطنًا، لكن ليس هناك فيها أنه ليس للمؤمنين مولى إلا علي ﷺ.

٥. هل خص النبي ﷺ عليًا ﷺ وآل البيت بشيء دون الناس؟ وهل منع الصحابةُ أهلَ البيت حقَّهم؟

زعمت الرافضة أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن ينصب عليًا وليًا ووصيًا من بعده لكنه خاف الناس، وأن الآية ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] نزلت عند ذلك، وأنه لما نزل عند غدير خم امتثل أمر ربه وأقام عليًا في مكان مرتفع يراه الناس، وأبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد. ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجًا فوجًا فيهنئوه، ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم. عندها نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وأنَّ النضر بن الحارث بن كَلدة (وقيل النعمان بن الحارث الفهري) اعترض وقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فرماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١][٢].

وهذا ادِّعاءٌ باطلٌ من وجوه:

١. آية البلاغ آية مكية تضمَّنت الأمر بتبليغ الدعوة مع ضمان العصمة له من الناس[٣].

٢. وآية إكمال الدين نزلت في التاسع من ذي الحجة يوم عرفة كما سبق بيانه.

٣. وأما آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] فمكية أيضًا، وسببُ نزولِها ما رواه ابن عباس ﷺ: «النضر بن الحارث بن كَلدة»[٤].

٤. وقد أمر النبي ﷺ بقتل الحارث يوم بدر وكان في الأسرى[٥].

٥. وأما ادِّعاء الاختصاص بالخلافة بعد النبي ﷺ فإن خير من يجيب عنه هو صاحب الشأن علي ﷺ وفي ذلك عدد من الروايات، منها:

» سئل علي ﷺ: أَخَصَّكُم رسولُ الله ﷺ بشيء؟ فقال: «ما خصَّنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعمَّ به الناس كافة»[٦].

» وفي رواية: «من زعم أن عندنا شيئًا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة -قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه- فقد كذب، فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات»[٧]. قال النووي: «فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية من الوصية إلى علي وغير ذلك من اختراعاتهم»[٨].

» عن علي ﷺ أنه قال يوم الجمل: «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهدًا نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استُخلف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، فأقام واستقام، ثم استُخلف عمر رحمة الله على عمر، فأقام واستقام، حتى ضرب الدّين بجِرانه»[٩].

---

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني (٢١٨)

(٢) ينظر: مجمع البيان، للطبرسي (10/530) الغدير، للشيخ الأميني (1/240) الإرشاد، للمفيد (1/166-176) ومنتهى الآمال، للقمي (1/268) بلا سند صحيح.

(٣) ينظر: الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي (٢)، وجامع البيان، للطبري (٤٦٧/١٠)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٤٢/٦)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٥٠/٣).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠١٣).

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام (٦٤٤/١) والبداية والنهاية، لابن كثير (١٨٨/٥).

(٦) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٧) أخرجه مسلم (١٣٧٠).

(٨) شرح النووي على مسلم (١٤١/١٣-١٤٢).

(٩) أخرجه أحمد (٩٢١) والبيهقي في الدلائل (٢٢٣/٧) وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (٨٣٤/١): إسناده حسن، ومعنى الجِرانُ: باطن العُنُق، وقيل: مُقدَّم العنق، والمعنى: حتى ثبتَ الدينُ واستقرَّ.

وفي هذه الروايات تصريح بأنَّ النبي ﷺ لم يعهد لعلي وآل بيته بشيء من الخلافة ولم يوص لأحد منهم، لا لعلي ولا لغيره. وهذا دليل واضح على أن دعوى النص عليه ﷺ إنما هي من اختلاق الرافضة.

٦. هل كان الصحابة يبغضون عليًا ويبغضهم؟

زعم الروافض أنَّ عليًا لم يزل متظلمًا متألمًا من قريش منذ قبض الرسول ﷺ إلى أن توفاه الله. وأنه كان يقول: اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم! فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمرًا هو لي. ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه[١].

وهذا واضح البطلان؛ فمما لا شكَّ فيه أن الصحابة كانوا من أنقى وأطهر الناس قلوبًا لا يحملون غِلاً على أحد من المؤمنين، وأنهم كانوا يحبُّون آل بيت النبي ووصيته من بعده، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ: (وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[٢]. وكان آل البيت يبادلونهم هذا الحب وينافحون عنهم.

قيل لأنس بن مالك ﷺ: إنهم يزعمون أن حب علي وعثمان ﷺ لا يجتمعان في قلب أحد، قال: «فقد كذبوا، والله! لقد اجتمع حبهما في قلوبنا»[٣].

ومن الأمارات الكبيرة الظاهرة في تلك العلاقة الطيبة المتينة بين الصحابة وآل البيت:

١. ثناء آل البيت على الشيخين أبي بكر وعمر والصحابة، وثناء الصحابة على آل البيت.

٢. رواية آل البيت في فضائل الصحابة، ورواية الصحابة في فضائل آل البيت.

٣. كتب السنة التي روت فضائل آل البيت عامة ومناقب علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، وبيان أن حبهم من الإيمان.

٤. التسمِّي بأسمائهم والتكني بكُناهم، لأن المبغِض لا يتسمّى باسم من يُبغضه.

٥. المصاهرات الكثيرة بين آل البيت والصحابة من آل أبي بكر وعمر وغيرهم، في أجيال متعاقبة.

وهم مع ذلك بشر كغيرهم يتلاحَون ويختلفون ويُذنبون، ويقع بينهم سوء الفهم أو نزغ الشيطان، ولذلك أمثلة كثيرة، كما وقع بين أبي بكر وعمر، وبلال وأبي ذر، وسيدَي الأوس والخزرج، وغيرهم، لكنهم أسرع الناس رجوعًا عن الخطأ، وأسمح الخلق خُلقًا بعد الأنبياء، ولا يجاوزون أمر الله ورسوله، وكما مرَّ في روايات يوم الغدير يأمرهم النبي ﷺ بحبِّ علي ﷺ فيأتمرون ويمتثلون في سرِّهم وعلانيتهم ويكون هذا آخر عهدهم بالخلاف معه.

٧. متى أصبح يوم الغدير عيدًا عند الرافضة؟

لم يُعرف اتخاذ يوم الغدير عيدًا في زمن النبي ﷺ ولا في زمن أصحابه ولا من بعدهم كالتابعين وتابعيهم في القرون المفضلة، وأول من أحدثه معز الدولة بن بويه[٤] في العام (٣٥٢) للهجرة، حيث أمر بإظهار الزينة في البلد، وأشعلت النيران، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل، كما يُفعل ليالي الأعياد[٥].

الخاتمة:

تبين لنا بعد هذه الجولة في قصة الغدير أنها ثابتة صحيحة مروية في صحاح كتب أهل السنة، وأن جميع الروايات الواردة في قصة غدير خم تتعلق بفضل أمير المؤمنين علي ﷺ وأمانته وعدله وصواب رأيه وقربه من النبي ﷺ لنزع ما حصل في نفوس بعض الصحابة مما ظنّوه تعسّفًا في الأمر، أو جَورًا في قسمة الغنائم.

ولا توجد أي دلالة في روايات حديث الغدير على الوصية لعلي ﷺ بالخلافة مطلقًا، بل جميع النصوص الصحيحة الواردة عن الصحابة وآل البيت تنفي دعوى النص على الولاية، وتثبت بطلانها، وفيها روايات يُصرِّح فيها عليٌّ ﷺ بأنَّ النبي ﷺ لم يعهد لهم بشيء من الإمامة أو الخلافة، وهذا الأمر مما لم يسمعه أحد من أهل العلم من حديث رسول الله ﷺ بل أجمعوا على بطلانه.

(١) ينظر: نهج البلاغة (٢٤٦) وبحار الأنوار (٢٨/٣٧٢-٣٧٣) بلا سند صحيح.
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).
(٣) إسناده صحيح: أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٢٩٢٩)، وابن الأعرابي في معجمه (٩٥).
(٤) البويهيون: أسرة رافضية، أسست دولة في أجزاء من العراق وإيران في أيام ضعف الخلافة العباسية، وكان بداية قيام دولتهم بدخول معز الدولة أحمد بن الحسن بغداد سنة (٣٣٤هـ) فلما دخلها قبض على الخليفة المستكفي وسمل عينيه وعين المطيع لله بدلاً منه، وضعف أمر الخلافة جدًا حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير، وبقيت دولتهم إلى أن سقطت على أيدي السلاجقة سنة (٤٤٧هـ). وكان للرافضة في عهدهم صولة وقوة. ينظر: البداية والنهاية (١١/٣٥) و(١١/٥٧٧) و(١٥/٦٩-٧١).
(٥) ينظر: الكامل في التاريخ (٧/٢٤٥)، وتاريخ الإسلام (٢٦/١٢) والبداية والنهاية (١٥/٢٦١).

هل ستنتصر أمة الإسلام حقًّا؟

د. عمر النشيواتي (*)

تعيش الأمة الإسلامية اليوم في وضع بائس وظروف غير مسبوقة، فالتمزق يزداد كل يوم، والأعداء يزدادون ضراوة، والظلم يحيط بالمسلمين من كل جانب، وخيارات الخروج من الأزمة تضيق، والفقر ينهش الأوضاع، واليأس بدأ يتمكّن من القلوب، وصارت بعض الأصوات تتساءل: هل ستنتصر أمة الإسلام حقاً؟ ومتى يكون ذلك؟

في زمن الاستضعاف والهزيمة التي تعيشها أمّة الإسلام اليوم ومع توالي الضربات والأزمات يتسلّل اليأس إلى بعض النفوس وتسودُ معاني الهزيمة والاستسلام، كما يغدو الظرف مواتيًا لرواج أقوال تناقش في المسلّمات، والتي منها: وعد الله لأمّة الإسلام بالنصر والظهور والتمكين، وأنّ العاقبة للمتّقين، وأنّ المستقبل لهذا الدين، فغدا من الناس مَن يجادل في هذا أو يراه بعيدًا بدعوى العقلانية في التعامل مع الواقع، ولهؤلاء المشكّكين سمّاعون يردّدون مقالتهم وينشرون أقوالهم، فهل تُعَدُّ مسألة انتصار أمّة الإسلام مسألة جدلية يصحّ الاختلاف حولها؟ أم أنّها مسألة راسخة محكمة لا ينبغي أن يشكّ فيها مسلم؟

النصر المعنوي للإسلام ظاهر في كلِّ حين، فقيمُه أعلى القيم ومبادئه أرقى المبادئ، ولا دين غيره يجيب عن الأسئلة المبدئية والقضايا الكبرى إجابات منطقية يقبلها العقل السليم، ولا يصمد أمامه في المناظرة مبدأٌ ولا دين

مفهوم النصر ودرجاته:

يخلط البعض بين مستويات وصور من النصر تزيد من الاختلاف والجدل حول هذه المسألة نظرًا لعدم تحرير محلّ النزاع فيها، وبقدر ما يكون التمييز والتفريق يقلّ اللغط ويخفّ الخلاف،

(*) طبيب، وكاتب مهتم بالقرآن وعلومه.

فهناك نصرٌ معنوي قيمي مبدئي وآخرُ حسيٌّ ماديٌّ واقعيّ، وهناك نصرٌ على المستوى الفردي وآخر على المستوى الجماعي، ومن النصر ما هو عامٌّ شاملٌ وآخر جزئيّ في جوانبَ وأماكنَ دون أخرى، ومنه ما هو نصرٌ مباشر ظاهر أو نصرٌ غير مباشر باعتبار ما يؤول إليه الحال والواقع، وهناك نصرٌ بمجرّد النجاة من الأعداء وعدم تحقّق غرضهم ونصر بهزيمة الأعداء ومحقهم وسحقهم.

فالنصر المعنوي للإسلام ظاهر في كلِّ حين، فقيمُه أعلى القيم ومبادئه أرقى المبادئ، ولا دين غيره يجيب عن الأسئلة المبدئية والقضايا الكبرى إجابات منطقية يقبلها العقل السليم: (من أين جئنا؟ وكيف بدأت الحياة؟ ولماذا خُلقنا؟ وما هو المطلوب منا؟ وإلى أين سنذهب؟ وما هو المصير؟) ولا يصمد أمامه في المناظرة مبدأ ولا دين.

وقد أدرك ذلك الأعداء الأوائل للإسلام، فقال الوليد بن المغيرة عن القرآن الكريم بعدما سمعه من فم النبي ﷺ: (إنّ لِقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطَلاوة، وإنّه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنّه ليعلو وما يُعلى، وإنّه ليَحطِم ما تحته)[1].

والمناظرات التي جرت بين أهل الإسلام وغيرهم، وبين أهل السنة وأهل البدعة منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا شاهدة على هذا الانتصار مؤكِّدة له.

والموت في سبيل الله بالرغم من كونه خسارة ماديّة في منظار الحياة الدنيا إلّا أنّه في أسمى مكانة في الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ولو استحضرنا معنى النصر المعنوي فسنفهم جيدًا سبب ثبات سحرة فرعون أمام تهديده لهم بالتنكيل، فقالوا له في ثبات: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، ووصف الله حال المؤمنين الذين حرقهم أصحاب الأخدود بقوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

ومن صور النصر أيضًا: المكاسبُ الكبرى التي تتحقّق من بعض الأحداث التي ليس فيها مواجهة مباشرة باعتبار ما يؤول إليه الحال والواقع، من ذلك الهجرة إلى المدينة التي سمّاها الله نصرًا ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٤٠]، ومنها صلح الحديبية الذي سمّاه الله فتحًا مبينًا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]؛ لعظيم دوره في انتشار الدعوة الإسلامية، وأثره في فتح مكة.

والنجاةُ من الأعداء صورةٌ من صور النصر، كما تحقّق للمسلمين في غزوة الخندق يوم اجتمع الأحزاب لاستئصال دولة الإسلام ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكما نجّى الله مؤمن آل فرعون ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ أي: «في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فنجّاه الله مع موسى عليه السلام، وأما في الآخرة فبالجنة»[2]، وكما نصر الله إبراهيم بتسليمه من النار ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وكما سمّى الله نجاة نوح نصرًا فقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝٧٦ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

هذه صورٌ شتّى للنصر، قد يلتبس بعضها بصورة الهزيمة عند النظرة القصيرة أو السطحية، فيُخطئ الذين يَقصُرون معنى النصر على صورةٍ معيّنةٍ معهودة أو قريبةِ المنال، ولا سبيل لتجاوز ذلك إلا بالنظرة الشمولية السابقة، أمّا النصرُ الحسّي فلأهل الإسلام مع غيرهم فيه جولاتٌ وأحوال، والعاقبة لهم متى أذن الله تعالى.

وكي يتحقّق النصر بمفهومه الحسّي الشامل فإنّه لابدّ من اكتمال أسبابِه وزوالِ معوّقاته، واللهُ يحكم ما يشاءُ ويفعلُ ما يريد.

> **الأمّة اليوم ليست بأسوأ مما كانت عليه في أيام خلت، والذي تولّى هذه الأمّة في سابق ضعفها سيتكفّل بها في لاحق أمرها، وهو على كل شيء قدير**

سياق التاريخ:

عند تأمّل تاريخ أمّة الإسلام سيتجلّى لنا تحقُّق موعود الله بالعزّة والتمكين ماثلاً على الأرض رغم كلّ محاولات الحرب والمكر، فمنذ النشأة الأولى للجماعة المؤمنة في مكّة بقيادة رسول الله ﷺ ومعه

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٨٧٢).
(٢) تفسير ابن كثير (١٤٦/٧).

نفر قليل مستضعفون وحتى هجرته إلى المدينة وما بعدها، توالت المحاولات واجتمعت أحزاب المشركين والكفار والمنافقين واليهود للحيلولة دون وجود هذه الأمّة لكنّها باءت جميعًا بالخيبة والخسران، بل مرّت بالمسلمين أيامٌ في حصار الشعب وليلة الهجرة إلى المدينة ويوم الخندق وغيرها أوشكت أو كادت أن تمحو أثر هذه الأمّة، لكن موعود الله كان ثابتًا وراسخًا على الأرض وفي النفوس، حتى قامت دولة الإسلام ومُكّن لها في المدينة، ثم فُتحت الجزيرة كلها.

ومع تتبُّع ما تعرَّضت له الأمّة حين ارتدّت بعض قبائل العرب، وتوالي الفتن من مقتل الفاروق ثم مقتل عثمان ﷺ وتسبُّبها في توقف الفتوحات مدّة من الزمن؛ نجدُ الأمّة قد نهضت من جديد وواصلت سيرها وانتصارها، وتتابعت الدول بعد الخلافة الراشدة، لتتسلّم الرايةَ الدولةُ الأموية ثم العباسية وما بعدها من دول وممالك.

والأمّة مع ما مرّت به من صعود وهبوط، وما تعرّضت له من حروب همجية ونكبات ومجازر للقضاء على وجود الإسلام، إلا أنّها بقيت عصيّة على كلّ محاولات الإفناء والإنهاء، وهكذا ستبقى إلى قيام الساعة بحفظ الله لهذا الدين وموعوده لها بالنصر والتمكين، وليست اليوم بأسوأ مما كانت عليه في أيام خلت، والذي تولّى هذه الأمّة في سابق ضعفها سيتكفّل بها في لاحق أمرها، وهو على كل شيء قدير.

الوعد الحقّ:

تنوَّعت الأدلّة من القرآن والسنّة التي تؤكّد انتصار أمّة الإسلام، ويمكن تصنيفها إلى ما يلي:

١. أدلّة تؤكّد على وعد الله لرسله وأتباعهم بالنصر والظهور:

قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

٢. أدلّة تؤكّد على فشل أعداء الأمّة في محاولاتهم لإطفاء نور الوحي والرسالة:

بل تدلّ على هزيمتهم وقطع دابرهم: قال سبحانه ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] وقال في الكافرين: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢] وقال في المنافقين: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

٣. أدلّة حذّرت من الهوان والهزيمة والاستسلام:

خاصّة أوقات الهزيمة المؤقّتة كما هو واقعنا اليوم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وحذّرت من استبطاء النصر واستعجال النتائج، قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

٤. أدلّة حذّرت من التشكيك في موعود الله بالنصر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وقال لنبيه ﷺ مرارًا: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠]، [غافر: ٥٥]، [غافر: ٧٧].

٥. أدلّة بيّنت طبيعة معادلة القوّة بين أهل الإسلام وأعدائهم:

وأنّ الغلبة تكون لهم بالرغم من قلّة عددهم وعدّتهم، ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

٦. آيات وسور بأكملها حكت قصص مَن سبق من الأنبياء:

وقد قصّها الله تعالى تسلية لرسوله ﷺ وللمؤمنين، وتأكيدًا على سننه في الحياة، وبما أنّ رسالة الإسلام هي الوارثة الباقية فانتصارها سائر على سنن تلك

دور المسلم في أزمنة الاستضعاف

- توعية الناس بحقائق الأمور، وأنّ الدنيا دار ابتلاء لا دار بقاء
- مواصلة العمل للدين على قدر الاستطاعة مهما قل
- الثبات على الدين والصبر على البأساء والضرّاء في سبيل ذلك
- تثبيت الناس وتذكيرهم بوعد الله تعالى للصابرين
- بثّ الأمل في النّاس وتبشيرهم بأنّ العاقبة للمتقين

الأمم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، وفي مقابل ذلك آيات وسور حكت قصص مَن عادى الرسل وعاندهم كفرعون وهامان والنمرود وغيرهم وكيف أنّ الدائرة كانت عليهم، وستكون الدائرة كذلك على مَن يحارب دين الله الخاتم الذي جاء به النبي ﷺ.

> **أكَّدت السنَّة النبوية أنَّ الهزيمة المادية لن تكون شاملةً لجميع أفراد الأمة، بل سيستمرُّ ظهور طائفة من المسلمين ظهورًا ماديًا على مرِّ الزمان إلى أن تقوم الساعة، إضافة إلى الأحاديث الصحيحة التي أخبرت بعودة الخلافة على منهاج النبوة في آخر الزمان**

٧. تواتر الأدلّة التي تؤكّد انتصار أمّة الإسلام في السنّة النبوية:

قال ﷺ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل، عزًا يُعزُّ الله به الإسلام، وذُلاً يُذلُّ الله به الكفر)[١]، وفي حديث خبّاب بن الأرتّ المشهور: (والله ليَتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنّكم تستعجلون)[٢].

وقد أكَّدت السنَّة النبوية أنَّ الهزيمة المادية لن تكون شاملة لجميع أفراد الأمة، بل سيستمر ظهور طائفة من المسلمين ظهورًا ماديًا على مرِّ الزمان إلى أن تقوم الساعة[٣]، إضافة إلى مجموع ما جاء في أحاديث الملاحم، والأحاديث التي أخبرت بعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في آخر الزمان[٤].

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤٣).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٢٣).
(٤) منها الحديث الذي أخرجه أحمد (١٨٤٠٦): (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها...) وفي آخره بعد أن ذكر مراحل الأمة المختلفة قال: (... ثم تكون خلافة على منهاج نبوة) ولم يذكر بعدها شيئًا.

بشارة الإنجيل:

ضرب الله لنا في القرآن مَثَل النبي ﷺ وأصحابه كما هو في الإنجيل مؤكّدًا بهذا المثل على ظهورهم وانتصارهم على أعدائهم فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ قال الضحاك: «يعني أصحاب محمد ﷺ، يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون»[١]، وقوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أي: استقام على قصبه، و(السُّوقُ) جمعُ ساق، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: يعجب هذا الزرعُ الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحسن نباته وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه»[٢].

وحينما كان النصارى مع عيسى عليه السلام يعيشون فترة استضعاف -بل إنّ اليهود حاولوا قتله لكنّ الله رفعه إليه وأنجاه منهم- فإنّهم كانوا يُصابرون أنفسهم ويُعزّونها بقُرب زمان ظهور نبينا محمد ﷺ ويبشّرون بأنّه سيُعزّ وينتصر وتكون له الغلبة على أعدائه حتى سُموا «المبشّرين» أي المبشرين بظهور نبينا ﷺ وتمكينه وغلبته، ومما ورد في كتبهم مما يدلّ على هذا ما جاء في إنجيل برنابا: «يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعًا لخلاص العالم»[٣].

التواؤم مع الفطرة:

إنّ المتأمِّل في خصائص وسمات الدين الإسلامي يُدرك أنّه الدين الأحقّ بالتمكين، وأنّ ذلك سيتحقّق عندما تتوفر شروطه، فقوّة هذا الدين تكمن في الحقّ الذي يملكه والمبادئ التي قام عليها، وفي موافقته للفطرة، واتّساقه مع السنن الكونية، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، في حين أنّ الحضارات الأخرى والأديان المحرّفة أو الوضعية ونظرًا لبعدها عن الحق والفطرة تكون آيلة للسقوط والانهزام، وإن بدت مُنتصرةً في زمن استثنائيٍّ أو ظرفٍ ما! كيف وهي إنّما قامت على حرب تلك المقوِّمات ومُعاكستها ومضادتها!

وما ذُكر على الصعيد الأممي ينطبق على المستوى الشخصي كذلك؛ فالروح التي غذاؤها ذكر الله وطاعته بحاجة للانسجام مع الجسد وجوارحه، فإذا انشغل الجسد بالكفر والمعاصي والآثام فهذا يجعل الإنسان في فصام وتمزّق وتخبّط، ولا يحقّق هذا التواؤم إلا شريعةُ الإسلام الموافقة للفطرة! وبهذا ندرك حتمية النصر لهذه الأمّة -المكوّنة من مجموع أفرادها المسلمين المتمتّعين باستقرار نفوسهم وانسجامها مع فطرتها- كما نوقن بحتمية الهزيمة لأعدائها ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝١٩٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

الواقع المشاهَد:

من العبارات التي طرقت أسماعنا كثيرًا أنّ أسرع الأديان توسعًا وتزايدًا وانتشارًا هو دين الإسلام! وهذا الأمرُ مُشاهَدٌ ملموسٌ كما أظهرت كثيرٌ من الدراسات، وبغضّ النظر عن دوافع المؤسسات التي تنشر مثل هذه الدراسات إلا أنّ البيانات التي نشرها المنتدى الاقتصادي العالمي لعام ٢٠١٩م وغيره تذكر هيمنة المسيحية على الأمريكتين وأوروبا والنصف الجنوبي من أفريقيا، بينما يُعدّ الإسلام الدين الأوسع انتشارًا في سلسلة من البلدان تمتد من شمال أفريقيا عبر الشرق الأوسط إلى إندونيسيا[٤].

وتُشير الدراسات التي تُعنَى بسرعة نمو أتباع الأديان إلى أنّ نمو أتباع الإسلام في العالم من المتوقّع أن يكون أكبر من نمو غير المسلمين بحلول عام ٢٠٥٠م لعدّة أسباب منها صغر الأعمار النسبي[٥] وارتفاع معدّل الخصوبة[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٦٨/٢٢).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٥١١/٨).

(٣) إنجيل برنابا، ص (١٦٢)، وللاستزادة ينظر: موقع الدرر السنية، الموسوعة العقدية، بشارات الأمم السابقة.

(٤) تقرير (الإسلام أسرع الأديان نموًا في العالم) باللغة الإنجليزية، موقع BBC، ٢٠١٧م.

(٥) ذكر تقرير أعده مركز (PEW) للأبحاث بعنوان (مستقبل أديان العالم: توقعات النمو السكاني، ٢٠١٠-٢٠٥٠م) أنّ الأطفال الذين تقلّ أعمارهم عن ١٥ عامًا يشكلون (٣٤٪) من مجموع المسلمين وهي أعلى نسبة في العالم، بينما يبلغ المعدل العالمي (٢٧٪)، وتبلغ نسبة من تزيد أعمارهم عن ٦٠ عامًا (٧٪) من المسلمين، وهي أقلّ نسبة في العالم، بينما يبلغ المعدل العالمي (١١٪).

(٦) جاء في تقرير أعده مركز (PEW) للأبحاث بعنوان (لماذا يُعتبر المسلمون المجموعة الدينية الأسرع نموًا في العالم؟) أنّ معدّل الخصوبة العالمي لدى المسلمين يبلغ (٢,٩) طفلاً لكل امرأة في السنوات (٢٠١٥ - ٢٠٢٠م) في مقابل (٢,٢) لغير المسلمين، ويبلغ معدّل خصوبة المسلمين في أوروبا (٢,١) مقابل (١,٦) لغيرهم في أوروبا، ويبلغ في آسيا (٢,٤) مقابل (١,٩) لدى غيرهم، والنسبة هي دومًا لصالح المسلمين. وحسب موسوعة ويكيبيديا: النسبة اللازمة لبقاء أيّ أمة مع المحافظة على عدد أفرادها هي (٢,٠٥) طفل لكل امرأة.

مما يلفت الانتباه أنّ الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً، وهذا ليس في زمن تمكين أمّة الإسلام وبسط نفوذها، بل هذا يحدث في ظل تمزّق الأمة وتبعيتها السياسية وتخلفها الاقتصادي وتراجعها العسكري، فكيف بها إذا تمكّنت؟!

كما كشفت دراسة نشرها موقع «الغارديان» أنّ الإسلام سيتسنَّم الريادة عالميًا في عدد معتنقيه في أفق سنة ٢٠٦٠م، إذ سيبلغ عدد أتباعه ٣ مليارات شخص أي حوالي (٣١,١٪) من إجمالي سكّان المعمورة.

وبحسب ما كشفته توقّعات عدد سكان العالم في الفترة ما بين سنتي ٢٠١٥ و٢٠٦٠م، فإنّ نسبة النموّ الإجمالية لسكان العالم هي (٣٢٪) خلال إجمالي هذه الفترة، يشكّل المسلمون وحدهم (٧٠٪) من نسبة النموّ تلك، في المقابل -وبالرغم من أنّ عدد المسيحيين في العالم يبقى الأكبر حاليًا- فإنّ نسبة النمو ستستقر لدى أتباع المسيحية عند (٣٤٪)، ما يعني أنّ الأخيرة ستخسر موقعها في الترتيب العالمي في منتصف القرن الحادي والعشرين لصالح الإسلام[١].

والناظر في واقع الأسر المسلمة وتماسكها وسعيها لتحقيق مقاصد الإسلام من وجودها وبخاصّة مقصد التكاثر، وبمقارنتها بالمجتمعات الغربية والشرقية التي تعاني من تمزّق أسري وعزوف عن الزواج والتكاثر، والذي أدّى إلى شيوع الشيخوخة والندرة في الأجيال الناشئة مما ينذر بتناقص وأفول متسارعٍ؛ لَيُوقِنُ أنّ المستقبل ليس إلا لأهل الإسلام.

والـمُلاحظ أنّ سرعة الانتشار المذكورة هنا ليست في زمن تمكين أمّة الإسلام وبسط نفوذها، بل إنّها تحدث في ظل تمزّق الأمة وتبعيتها السياسية وتخلفها الاقتصادي وتراجعها العسكري، فكيف بها إذا تمكّنت؟!

ما هو دورنا؟

أهم واجب على المسلم هو اليقين بوعد الله تعالى، والثقة بما أخبر به من رِفعة هذا الدين وعُلوِّه، وهو جزء من الإيمان وشعبة منه، ويقتضي هذا اليقين عدّة أمور، أهمّها:

١. توعية الناس بحقائق الأمور، وأنّ الدنيا دار ابتلاء لا دار بقاء، وأنّ العبرة فيها بمعرفة الحقّ واتّباعه والثبات عليه، وهذا هو مقتضى جواب النبي ﷺ لخبّاب بن الأرتّ ﷺ عندما طلب من النبي ﷺ أن يستنصر الله لهم وهم في أشدّ حالات الاستضعاف[٢]. فالنتائج بيد الله وحده ومنها النصر، والله تعالى كان يُعلِّم النبي ﷺ ألّا يحزن لعدم إجابة قومه، فيقول له: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

٢. مواصلة العمل للدين بالقدر الذي يستطيعه كلّ مسلم، ولو كان نصيحةً عابرةً أو صدقةً يسيرةً أو دعوةً في جوف الليل، وهذا الفقه هو ما يُفهم من قوله ﷺ: (إنْ قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسْها)[٣]، ومن أهمّ وجوه العمل للدين: تعليم الناس الإيمانَ والثقةَ بتقدير الله العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء، وأنّ إمهاله للكفّار والظلمة لحِكَمٍ قد تبدو وقد تخفى.

لا بد من الصبر والتواصي به؛ فالصحابة ﷺ عنهم تعرَّضوا للعذاب الشديد ورسول الله ﷺ بين أظهرهم لا يملك إلا أن يُصبِّرهم ويذكِّرهم بالجزاء في الآخرة، ومن الصحابة من قُتل تحت سياط التعذيب في مكّة ولم يروا نصرًا ولا تمكينًا ولا هجرة ولا فتحًا، ولم يثنهم ذلك ولم يصبهم باليأس

٣. الثبات على الدين والصبر على البأساء والضرّاء في سبيل ذلك، واستحضار أنّ النعيم المقيم الذي ينتظر المؤمن في الآخرة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والاستعانة على الصبر بالعبادة وتلاوة

(١) تقرير بعنوان (Islam set to become world›s largest religion by ٢٠٧٥, study suggests)، الإسلام سيصبح أكبر ديانة في العالم بحلول عام ٢٠٧٥م.

(٢) أخرج البخاري (٦٩٤٣) عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسّد بُردة له في ظلّ الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: (قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنّكم تستعجلون).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٩٠٢).

القرآن وقيام الليل، فإنّها زاد روحي لا ينضب، وقد وجّه الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝١ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٢ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٢-٤].

٤. تثبيت الناس وتذكيرهم بوعد الله تعالى، وتسليتهم بقصص الثابتين على الدين، كغلام الأخدود وسَحَرة فرعون، والصحابة رضي الله عنهم الذين تعرّضوا للعذاب الشديد ورسول الله ﷺ بين أظهرهم لا يملك إلا أن يُصبِّرهم ويذكِّرهم بالجزاء في الآخرة، فهذا ياسر وسمية رضي الله عنهما قُتلا تحت سياط التعذيب في مكّة ولم يريا نصرًا ولا تمكينًا ولا هجرة ولا فتحًا، وكلّ ما كانا يريانه هو بشاشة الإيمان التي خالطت قلبيهما، فهانت في نفسيهما كلّ متع الدنيا فنالا الخلود المقيم.

٥. بثّ الأمل في النّاس وتبشيرهم بأنّ العاقبة للمتقين، وأنّ المستقبل لهذا الدين، وبأنّ بعد العسر يسرًا، وبأنّ الدين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وبأنّ الألم الذي يعيشه الناس اليوم في سبيل الثبات على دينهم سيتلوه خيرٌ عظيمٌ ورفعةٌ لهذا الدين وأهله، شاء من شاء وأبى من أبى، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ومما يعين على ذلك دراسة السنن الإلهية، والتي منها سنن التداول والتغيير والاستخلاف والتمكين.

وختامًا:

فإنّ الله جلّ شأنه قد ذكر في كتابه حال أولئك الذين يستبطئون النصر لدرجة الظنّ بأنّ الله تعالى لن ينصر نبيّه ﷺ وأمّته ويُعلي دينه فقال متهكّمًا بهم: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، والمعنى: «مَن كان يظنّ أنْ لن ينصر اللهُ محمّدًا ﷺ في الدنيا والآخرة، فليمدد بحبل إلى سماء بيته ثم ليختنق به وليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه! فإنّ الله ناصره لا محالة»[1].

فنصر الله تعالى له أَجَلٌ لا يعلمه إلا هو لكنّه آتٍ لا محالة، ولا ريب أنّ عقيدة النصر هي من أعظم ما يثبّت العاملين لهذا الدين ويشجّع قلوبهم ليكونوا من أنصاره وممن يتحقّق على أيديهم هذا الوعد، وإنّما تحلّ الكارثة عندما تهتزّ هذه العقيدة فتُقعد المسلم عن العمل ويستسلم، فما أسعد أعداءه به حينها!

(١) تفسير ابن كثير (٣٥٣/٥) باختصار.

التقدُّم الحضاري وتراجعه في ضوء القرآن الكريم

أ. عبد الرزاق ميزة نازي(*)

ترتكز الحضارات في نهوضها أو تأخرها على أسباب تأخذ بها نحو البناء أو الهدم؛ لذلك وجهنا تعالى في كتابه الكريم لمراعاة تلك الأسباب والأخذ بها؛ لما لها من تأثير على البناء الحضاري في جميع الأزمان والعصور التي مرت على البشرية. وفي هذا المقال إلقاء للضوء على أهم تلك الأسباب.

المقصود بالحضارة:

الحضارة في اللغة تقترن بالحضر والعمران، ومن أوائل من استخدم مصطلح الحضارة بمفهومه القريب من معناه الحديث: ابن خلدون، فقد عرفها بقوله: «هي التّفنّن في التّرف واستجادة أحواله والكلف بالصّنائع الّتي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه»(١) ويرى أن التطور العمراني من المظاهر الملازمة لأي حضارة(٢).

لكن المصطلح تطور، وصار يُقصد به: كل إنتاج روحي ومادي، وما يتصل بالتقدم والرقي الإنساني في مختلف ميادين الحياة وتشعباتها ومظاهرها، ويُيسر السبيل إلى حياة إنسانية كريمة تراعي الروح والبدن(٣).

المحور الأول: التقدُّم الحضاري في القرآن الكريم:

كرَّم الله تعالى الإنسان على غيره من المخلوقات واستخلفه في الأرض ليعمُرها وُفق مراد الله، وشرَّفه بالعقل ليستصلح شُؤونه ويدفع عن نفسه الأضرار، ويصل إلى العلوم والمعارف، فيتطوَّر ويتقدَّم في أساليب حياته وحضارته(٤)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم

(*) ماجستير في الفقه وأصوله، مدير مركز تاج لتعليم القرآن الكريم في الريحانية.

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون (٤٦٥/١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٢١٦/١).

(٣) ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ص (١٩-٢٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦٧/١٥).

مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. قال ابن عاشور: «وقد جمعت الآية خمسَ مِنَنٍ: التكريم، وتسخير البر، وتسخير البحر، والرزق، والتفضيل بالعقل»[١].

والنهوض الحضاري المنشود في ضوء القرآن الكريم له أسباب واضحة تتعلَّقُ بالروح والجسد، والفرد والمجتمع، والحكم والقيم والاقتصاد والجغرافيا.

لا بدَّ للنهضة الحضارية من قوّةٍ دافعةٍ تحرِّك الإنسان نحو هدفه في البناء. والإيمانُ بالله يولِّد هذه القوة، فيَعرف الإنسان سببَ وُجوده في الحياة، وما وُكل إليه من مسؤوليات، فينصلح قلبه وينعكس ذلك على تصرفاته وسلوكه في العمارة وتشييد الحضارة

وفيما يلي أهمُّ تلك الأسباب:

أولاً - الإيمان بالله:

النهضة الحضارية لا بدَّ لها من قوّةٍ دافعةٍ تحرِّك الإنسان نحو هدفه في البناء. والإيمانُ بالله يولِّد هذه القوة، فيَعرف الإنسان سببَ وُجوده في الحياة، وما وُكل إليه في هذا الكون من مسؤوليات، فينصلح قلبه وينعكس ذلك على تصرفاته وسلوكه في العمارة وتشييد الحضارة. والخطاب بلفظ الإيمان في كتاب الله تشريفٌ وتكليف؛ تشريفٌ بأنَّ هذه النعمة العظيمة من الله، وتكليفٌ بالمترتِّب عليها، لذلك فإنَّ التكاليف تأتي مباشرةً بعد الخطاب بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، فالإيمان لا ينفصل عن العمل الذي لا تُتصوَّر حضارةٌ بدونه.

وتتجلّى أهمية الإيمان بالله في النهوض الحضاري فيما يأتي::

١. الإيمان يجعل الإنسان يبذل الجهود مدفوعًا بالتصور لحقيقة الوجود والغاية من الحياة[٢]، وأنه مُستخلَف في الأرض لعمارتها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

٢. الإيمان يُعطي لأي حضارة طابعها المبني على التصورات العقدية التي تصبغ الحضارة بالهوية الخاصة بها في شتى المجالات العمرانية، والعلمية، ونحوها.

٣. تحافظ الحضارة على وجودها وتستمرُّ طالما حافظت على عقيدتها.

٤. الإيمان بالله يوجِد الإنسان الصالح الذي يأخذ على عاتقه عمارة الكون بما فيه صلاح له في الحال وفلاح له في المآل.

٥. الإيمان ما وقر في القلب من محبة الله ورسوله وصدقه العمل، فيتكامل الاعتقاد مع العمل، فيصبح الإيمان هو المحرِّك الرئيس للفرد والمجتمع في السير نحو التحضُّر في جميع مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثانيًا - العلم:

غَرَس القرآن الكريم في قلوب المسلمين حُبَّ العلم النافع سواءً كان علومًا كونية أو شرعية منذ بداية نزوله، فأوَّل آية أُنزلت على الرّسول ﷺ كانت تختصُّ بالعلم، وتأمر به وتحضُّ عليه، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

ودعت الكثير من الآيات إلى الاهتمام بالعلم، ورفعت مكانة أهله في الدنيا، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. كما أمرت بالاستزادة منه، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ولم يكتف القرآن الكريم بالحثِّ على العلم بل أمر باستخدام الأدوات التي تُوصل إليه؛ ليُعيد ترتيب وتنظيم عقل الإنسان، فحثَّ على التّفكير والبحث في مختلف الآيات الكونيّة والسّمعيّة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

لقد كانت العلوم الكونية حاضرة في أكثر من ألف آية تتحدث عن أوصاف علمية دقيقة لظواهر الكون، وعلم النبات، وعلم الأرض (الجيولوجيا)، وعلم الأجناس، وعلم الحيوان، وعلم اللغات.

(١) التحرير والتنوير (١٥/١٦٤) بتصرف.

(٢) الإيمان بالله وأثره في تحقيق النهضة الحضارية، لعوض جدوع أحمد الجبوري، ص (٩).

تأمَّل في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. قال ابن كثير: «أي فيها من الآيات الدالَّة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنةِ الناس وألوانهم، وما جُبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفُهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه؛ ولهذا قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾»[(١)].

> **تاريخ الحضارات يدلُّ على أنه كلما اهتمَّت أمة بالعلم ازدادت تقدُّمًا، وهكذا كان حال المسلمين الذين شيدوا أعظم حضارة عرفتها البشرية عندما كان الغرب والشرق يئن تحت نير الجهل والفوضى**

وتبرز أهمية العلم في النهوض الحضاري بما يأتي:

١. كلّما زاد علم الإنسان ومعرفته يستطيع أن يستثمر ما سخر له في هذا الكون، فيزدهر البناء الحضاري في المجتمع الّذي يعيش فيه، وبقدر الزيادة في العلم يكون الإسهام في نفع الإنسانية، والتقدم في جميع المجالات الحياتية[(٢)].

٢. عماد الحضارات العلم النافع ولا تبنى إلا به، ولا تصل أي حضارة إلى التفوق والإبداع والمجد والصدارة إلا بالعلم؛ فكلما زادت العلوم الكونية تأثرت الحضارة وارتقت فالقوة مرتبطة بالعلوم؛ لذلك أتى الأمر الإلهي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٣. العلم يخفف المشكلات التي تواجه تقدم أي حضارة ويذلل العقبات.

٤. تاريخ الحضارات يدل دلالة قاطعة على أنه كلما اهتمَّت أمة بالعلم ازدادت تقدُّمًا، وهكذا كان حال المسلمين الذين شيدوا أعظم حضارة عرفتها البشرية عندما أقاموا المدارس العلمية والصناعات والمستشفيات، وابتكروا المناهج العلمية عندما كان الغرب والشرق يئن تحت نير الجهل والفوضى.

ثالثًا: العدل.

العدل هو الميزان الضامن لاستمرار الحضارة، وضرورة من ضروراتها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والقسط: العدل، وهو قوام الدنيا، فالحضارة التي لا تبنى على العدل مصيرها الزوال، والأحداث على مر التاريخ تدل بوضوح على أن هلاك المجتمعات، وتدمير الحضارات إنما يكون بسبب الظلم والبغي، قال تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

والعدل الذي أمر به القرآن الكريم عدل مطلق شامل للفعل والقول وللصديق والعدو وللقريب والبعيد، فهو تطبيق عملي يظهر في واقع الإنسان يعم جميع مناحي الحياة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

قال ابن كثير: «يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه»[(٣)].

ولقد أرست الآيات الكريمة العدل قيمة مجتمعية تفجر طاقات الإنسان الإبداعية لتشيد الحضارة، ويحرك عجلة الحياة، ويعزز الانتماء للمجتمع والأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وكان عبدالله بن مسعود ﷺ يقول: «ما في القرآن آيةٌ أجمعُ للخير والشر من هذه الآية»[(٤)]، وهذا فهمٌ صائب؛ لأن كل خير يندرج تحت العدل والإحسان، وكل شر يشمله قوله سبحانه: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤١٧/٧).
(٢) مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، لعمار توفيق أحمد بدوي، ص (٣٤-٣٧)، وللاستزادة في الموضوع ينصح بالرجوع لهذا الكتاب.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٣٣/٢).
(٤) المستدرك، للحاكم (٣٤١٦).

المسلمون اليوم عندهم من الإخلاص والإيمان والغيرة على تمكين دين الله الكثير، وما يحتاجون إليه هو التصور الصحيح للسنن الكونية؛ كي يرتقوا في سلم الحضارة، ويعودوا إلى سالف عهدهم فتنتفع بهم البشرية جمعاء

رابعًا: مراعاة السنن الكونية:

جعل الله لهذا الكون سننًا تجري على كل شيء فيه، وجعل له قوانين متقنة منضبطة لا خلل فيها، قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وميَّز السنن الكونية بأنها ثابتةٌ لا تبديل لها، ولا تحابي أحدًا، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢].

فلا يَقدرُ أحدٌ أن يبدِّل سنة الله التي سنَّها بالأمم، ولن تجد لسنة الله تحويلاً بأن يحوِّل ما جرت به سنة الله في هذه الحياة الدنيا؛ لهذا أمر القرآن الكريم بفهم السنن الكونية؛ لأهميَّتها في معرفة الدين والاستفادة مما في هذا الكون لتطوير مناحي الحياة.

والسنن الكونية لا تحابي ولا تفرِّق في الحياة الدنيا بين مؤمن وكافر فمن يعمل سيحقق الظفر والنجاح والفلاح، وعمارة الأرض، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

والمسلمون اليوم عندهم من الإخلاص والإيمان والغيرة على تمكين دين الله الكثير، وما يحتاجون إليه هو التصور الصحيح للسنن الكونية؛ كي يرتقوا في سلم الحضارة، ويعودوا إلى سالف عهدهم فتنتفع بهم البشرية جمعاء.

والسنن التي يجب مراعاتها كثيرة منها:

١. سنة التغيير التي تبدأ بالنفس نحو الارتقاء، وهذا التغيير نابع من الذات وهو اللبنة الأساسية في بناء الحضارة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

قال السعدي: «﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش، ﴿حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البَطَر بها فيسلُبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة»[١].

٢. سنّة التدافع، لأنَّ الصراع بين الحق والباطل قائمٌ مستمرٌّ إلى قيام الساعة، والغالب فيه من يأخذ بالأسباب التي يحصن فيها أمته. وهذه الأسباب توصل إلى الحضارة أو تحافظ عليها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

خامسًا - التعاون والتآلف المجتمعي:

عده القرآن من الضروريات فالحضارة لا تنهض إلا بهذا الأصل، فعند وجود التعاون والتآلف في أي أمة سينتج استقرار وتطور ينهض بالأمة، ويُوصِلها مع العوامل السابقة إلى الرقي الحضاري.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

والتعاون له منزلةٌ مرموقة في أيِّ حضارة؛ لأن الناس يحتاج بعضهم لبعض ويكمل بعضهم بعضًا، والجماعة تسدُّ النقص الموجود في الأفراد فيوفرون الأوقات، ويكون العمل متقنًا، وقد بيّن ابن خلدون أن العمران لا يقوم إلا على التعاون؛ حيث إنّ أعمال أهل المصر يستدعي بعضها بعضًا لما في طبيعة العمران من التّعاون، وما يستدعي من الأعمال يختصّ ببعض أهل المصر فيقومون عليه، ويستبصرون في صناعته ويختصّون بوظيفته[٢].

عدَّ القرآن التعاون والتآلف من الضروريات، فالحضارة لا تنهض إلا بهذا الأصل، فعند وجود التعاون والتآلف في أي أمة سينتج استقرار وتطور ينهض بالأمة، ويُوصِلها مع العوامل السابقة إلى الرقي الحضاري

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص (٤٧٩).
(٢) ينظر: المقدمة، لابن خلدون (٤٧٢/١).

أسباب التقدُّم الحضاري في القرآن الكريم

وللتعاون فوائد جليلة منها: تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خُلُقًا للأمة.

سادسًا - القيم الحضارية:

تنشأ وتزدهر الحضارة على أساس القيم والمبادئ الأخلاقية، فالقيم لها أثر كبير في حياة الناس فهي توجه السلوك نحو الخير والفضيلة.

والقيم في القرآن نظام حياة ترشد الفرد والمجتمع لما فيه خير، وتشكل المبادئ الإنسانية السامية التي يتسلح بها الإنسان للوصول إلى الرقي الحضاري، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ففي هذه الآية حضٌّ على تمثُّل هذه القيم في النفس والسلوك، وأن يتَّصف الإنسان بالأوصاف المذكورة في السلم والحرب والسرّاء والضرّاء مع العدوِّ والصديق، فالبرُّ صفةٌ تجمع الخير والفضيلة في أي زمان ومكان وحال؛ لذلك اعتبر العلماء هذه الآية العظيمة من أمهات الأحكام، لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة[1].

ومن نماذج اهتمام القرآن الكريم بالقيم:

١. الحثُّ على قيمة الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢. الحثُّ على قيمة الشورى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

٣. الحثُّ على قيمة المساواة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٤. الحثُّ على قيمة الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

٥. الحثُّ على قيمة الإحسان إلى المحتاجين والضعفاء، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٠٠/٢).

٦. الحثُّ على قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهكذا نجد أنَّ القرآن الكريم يحرص على غرس القيم؛ لأهميتها في بناء الإنسان الذي يُعتبر أساس الحضارة.

سابعًا: البيئة المناسبة والموارد الاقتصادية:

يُشير القرآن إلى أهمية وجود العوامل الطبيعية والجغرافية والموارد الاقتصادية لنهوض أي حضارة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

فيأتي الإنسان ليستثمر هذه الثروات وينهض بها إلى حضارةٍ متطورة، توفر للناس حاجاتهم من طعام وشراب الذي فيه قوام البدن.

وقد تحدَّث ابن خلدون عن أهمية هذا العامل في مقدمته، وبيّن أنّ من أسباب بناء أي حضارة وتشكلها: العوامل الطبيعية والجغرافية؛ لأنَّ المناطق الحارة على سبيل المثال يصعب فيها العيش والعمران، أما المناطق المعتدلة والباردة نسبيًا فهي أكثر ملاءمةً لتشييد الحضارة وتقدُّمها[١]، حيث نصَّ على ذلك بعنوان: «في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم» واستدلَّ لكلامه أن الحضارات على مر الزمان تتركَّز في الأقاليم المعتدلة.

ولا شك أن المستقرئ للماضي والحاضر يجد أهميةَ هذا العامل في تكوين أو ازدهار أي حضارةٍ إذا استُثمر بالشكل الأمثل.

ثامنًا - النظام السياسي المستقر:

الحضارة تحتاج إلى نظام سياسيٍّ مُستقرّ؛ لأنَّ الاجتماع البشري ضروريٌ لقيام أي حضارة، وهذا الاجتماع يحتاج إلى حاكم يرجعون إليه ويراعي مصالح الناس، ويطبق الأحكام الشرعية التي فيها صلاح للناس وتقودهم إلى العمران[٢].

الحضارة تحتاج إلى نظام سياسيٍّ مُستقرّ؛ لأنَّ الاجتماع البشري ضروريٌ لقيام أي حضارة، وهذا الاجتماع يحتاج إلى حاكم يرجعون إليه ويراعي مصالح الناس، ويطبق الأحكام الشرعية التي فيها صلاح للناس وتقودهم إلى العمران

المحور الثاني: التراجع الحضاري في ضوء القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم إلى الكثير من الحضارات التي نشأت على مرِّ الزمان، وما أصابها من التراجع أو السقوط والانهيار، وأحيانا الفناء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]. لقد عبّر بالمضارع مع أن القصص مضى لاستحضار حالة هذا القصص البليغ، والمرادُ بالقائم ما كان من القرى التي قصّها الله في القرآن قُرى قائمًا بعضها كآثار بلد فرعون كالأهرام، وأنطاكية قرية المرسلين الثلاثة، وصنعاء بلد قوم تُبّع، وقرى بائدة مثل ديار عاد، وقرى قوم لوط، وقرية مدين والمقصود من هذه الجملة الاعتبار[٣].

وفي معرض الحديث عن تلك الحضارات أشار القرآن إلى أسباب التراجع والسقوط، وهي كالآتي:

أولاً - العقيدة المنحرفة:

كما أن الإيمان بالله يوصل إلى بناء الحضارة، فكذلك الانحراف عنها إلى الكفر أو الإلحاد سيؤدي إلى خلل في نظرة الإنسان إلى نفسه والكون والحياة، فتصبح حضارة معاندة للفطرة، فالنهاية التأخر أو الزوال[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

واغترار بعض الحضارات القائمة على الكفر والانحراف والضلال إنما هو اغترارٌ مؤقت، وما هو إلا متاع قليل[٥]، قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝١٩٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

---

(١) تطور الحضارة وانهيارها عند ابن خلدون، ص (٧٧٥).
(٢) ينظر: المقدمة، لابن خلدون، ص (٣٧٧-٣٧٨).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥٨/١٢).
(٤) ينظر: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي، ص (١١١-١١٢).
(٥) المرجع السابق، ص (١١٨).

ثانيًا - استبداد الحاكم:

عندما يستبدُّ الحاكم ويتصرّف بناءً على مصالحه الشخصية أو مصلحة طائفة معيّنة، ويتنعَّم بالترف هو وحاشيته لا بدَّ وأن تتأخَّر الحضارة؛ لأنه رأسُ هرمها[1]، ويصبح عموم الناس فاقدين للرغبة في العمل والإنجاز والتطوير، فتنحدر الحضارة إلى الهاوية.

ثالثًا – الظلم:

عندما يُظلم الإنسان في أي جانبٍ من جوانب حياته تنقبضُ يداه عن العمل والسعي الذي هو أساس أيِّ حضارة، فتذهب آماله في تحصيله واكتسابه[2]، وهذه سنة الله في هذا الكون فقد تلاشت الكثير من الحضارات بسبب ظلمها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١].

ويرى ابن خلدون أن الظلم أحدُ أهم أسباب الانهيار، فهو مُؤذِنٌ بخراب الحضارة، كما يرى أنَّ من مُسببات الانهيار أيضًا: استبداد الحاكم وتنعّمه بالترف، فيما شبّه الحضارة والعمران بتطوّرها بالإنسان حيث إنّ الوصول للقمّة هو إيذان بالفساد والانهيار، فللدول أعمار كما للبشر[3]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

رابعًا – الفساد بأنواعه:

فساد نظام الحكم: وهو سبب في هلاك الأمم وسقوط الحضارات، فالإنسان في ظل الحكم الفاسد لا يتمتع بالحرية والحقوق، ويخاف على نفسه فلا يصحح الأخطاء التي يراها؛ فتكون النهاية: التراكمات التي تؤدي إلى الانهيار، قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٠-١٣].

الفساد الاقتصادي: يقصُّ علينا القرآن الكريم خبر حضارة مدين وأنَّ سبب هلاكها كان المعاملات الفاسدة، وعدم الوفاء بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم، فكانت النتيجة أن غابت تلك الحضارة بسبب فسادها الاقتصادي[4]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥].

خامسًا - الاستكبار والطغيان والغرور:

يستعرض القرآن الكريم أحوال الحضارات وكيف أُهلكت بسبب استكبارها وغرورها وبطشها، وما آلت إليه من الانهيار والسقوط[5]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٣].

سادسًا – كثرة الذنوب والمعاصي والآثام:

وتشمل الذنوب التي يرتكبها الفرد أو المجتمع، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فمصير أي حضارة تُعرِض عن الأوامر الإلهية أو تأتي الفواحش والمنهيات الربّانية الزوال والسقوط، وهذا ما أصاب حضارات الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

فالحضارات التي تسير باتجاه الباطل وتنصره ستكون نتيجتها الهلاك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وختامًا:

ألقى القرآن الكريم الضوء على أسباب التقدُّم الحضاري، وتأخُّره على مر العصور، وأبرز هذه العوامل لاستخلاص العبرة، والعمل عليها للوصول إلى النهوض الحضاري المنشود، وتعمير الأرض بما يرضي الله تبارك وتعالى.

---

(١) ينظر: المقدمة، لابن خلدون، ص (٢١٠-٢١٣) بتصرف.
(٢) المقدمة، لابن خلدون، ص (٣٥٣-٣٥٤).
(٣) المرجع السابق، ص (٦٩٧-٧٠٠).
(٤) مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي، ص (١٥٧-١٥٨).
(٥) المرجع السابق، ص (١٤٨).

قراءة في كتاب: الإسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب

أ. أحمد بن أسامة حلاق (*)

حقَّقت الحضارة الغربية المعاصرة إنجازاتٍ كبيرةً في الجوانب العلمية والمخترعات والمكتشفات، فانبهر بها كثير من الناس ووقفوا موقف المستعدِّين للذوبان فيها، وفي المقابل تكرَّرت نداءات وتحذيرات العديد من المفكرين الغربيين والمسلمين من تلك الحضارة بسبب مشكلاتٍ جوهرية فيها، فما هي هذه المشكلات؟ وما الذي جعلهم يقفون هذا الموقف منها؟

التعريف بالمؤلف:

ولد سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي يوم ٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٦م في قرية موشا بمحافظة أسيوط في مصر، في أسرة ميسورة الحال، درس القرآن الكريم في كُتاب القرية وأكمله في السنة الرابعة من دراسته الابتدائية، ولم يتزوّج.

تخرج بشهادة بكالوريوس آداب ١٩٣٣م، عمل بالتدريس، كما اشتغل منذ شبابه في الصحافة، وتولّى وظائف إدارية وتربوية في وزارة المعارف، وأرسلته الوزارة إلى الولايات المتحدة ١٩٤٨م للتخصُّص في التربية وأصول المناهج، وبعد عودته قدم استقالته من الوزارة ١٩٥٢م.

مهَّدت كتاباته الإسلامية منذ ١٩٤٧م لبداية علاقته بجماعة الإخوان المسلمين التي انضمَّ إليها رسميًا ١٩٥٣م، وأصبح عضوًا بمكتب إرشادها ومسؤولَ قسم نشر الدعوة، ورئيس تحرير صحيفة «الإخوان المسلمون» حتى أغلقت ١٩٥٤م.

تنوَّعت كتاباته ما بين أدبية خالصة، وسياسية متنوعة، وإسلامية فكرية وحركية، بدأت كتاباته السياسية في النصف الثاني من الأربعينيات، ثم برزت أكثر بعد الثورة على المَلكية ١٩٥٢م.

عقب واقعة المنشية ٢٦ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٤م اتهِم الإخوان بالحادثة، واعتقِل مئات منهم بينهم سيد قطب وحُكم عليه بالسجن مدى

(*) ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، مدير معهد الحِكمة في إسطنبول.

الحياة ولقي أشد العذاب، وأفرج عنه في مايو/أيار ١٩٦٤م، لكن أعيد اعتقاله بعد أشهر، ثم أعدِم رحمه الله فجر يوم ٢٩ أغسطس/آب ١٩٦٦م.

التعريف بالكتاب:

تبلغ عدد صفحات الكتاب: ١٩٨ صفحة، وقد حظي بطبعات كثيرة داخل مصر وخارجها، وطبعة هذه القراءة لدار الشروق، مصر – القاهرة، وهي الطبعة الثالثة عشرة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

موضوع الكتاب:

يعالج الكتاب حال العالم اليوم وما يعيش به من تخبط وضياع، وما سببته الحضارة الحديثة من تدمير الإنسان وتجهيله على الرغم من التقدم المادي الكبير، ويقترح لعلاج هذا التخبط والضياع الحل الإسلامي، والخلاص من أعباء الحضارة المادية الحديثة.

فصول الكتاب:

يتضمن الكتاب سبعة فصول، وهي:

١. تدمير الإنسان.
٢. الإنسان ذلك المجهول.
٣. تخبط واضطراب.
٤. حضارة لا تلائم الإنسان.
٥. عقوبة الفطرة.
٦. كيف الخلاص؟
٧. طريق الخلاص.

١. تدمير الإنسان:

الحياة الإنسانية -كما هي اليوم- لا يمكن أن تستمرَّ في طريقها هذا، ولا بدَّ لها من تغيير أساسي في القاعدة التي تقوم عليها. تغييرًا يعصمها من تدمير الإنسان ذاته، بتدمير خصائصه الأساسية.

وخطُّها الحالي يمضي يومًا بعد يوم في تدمير خصائص الإنسان، وتحويله إلى آلةٍ من ناحية، وإلى حيوانٍ من ناحيةٍ أخرى، وإذا كان هذا الخط لم يصلْ إلى نهايته بعد، فالذي ظهر منها حتى اليوم، وفي الأمم التي وصلت إلى قمة الحضارة المادية، يشي بتناقص الخصائص الإنسانية وضمورها وتراجعها.

وحين نتلفَّت من حولنا في الماضي والحاضر وفي المستقبل لا نجد الحلَّ المقترح لتجنيب البشرية ذلك الدمار وللخروج بها من الأزمة الحادَّة وللاحتفاظ بالإنسان بالمحافظة على خصائصه الإنسانية إلا في التصوُّر الإسلامي والمنهج الإسلامي والحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

ولكن كيف تبدو الحياة مهددةً بتدمير الإنسان عن طريق تدمير خصائصه الإنسانية؟ لعلَّه يحسُن الكشفُ عن أهم عناصر هذه المأساة باختصار.

> **الحياة الإنسانية في ظل الحضارة الغربية المعاصرة لا يمكن أن تستمرَّ في طريقها هذا، ولا بدَّ لها من تغيير أساسي في القاعدة التي تقوم عليها. تغييرًا يعصمها من تدمير الإنسان ذاته، بتدمير خصائصه الأساسية**

إن أهم عناصر هذه المأساة تتمثل في:

١. جهل الإنسان بذاته وعدم استطاعته أن يضع لنفسه نظامًا شاملاً يتناسب مع طبيعته وخصائصه، ويحتفظ بها جميعًا في حالة تجدُّدٍ ونموٍّ وازدهار موسومٍ بالتناسق والاعتدال.
٢. تخبُّط الحياة البشرية لقيامها على أساسٍ من هذا الجهل منذ افترق طريقها عن المنهج الذي وضعه الله الخبير للإنسان بفطرته وبخصائصه.
٣. قيام حضارة مادية لا تُلائم الإنسان ولا تحترم خصائصه، تعامله بالمقاييس الآلية والحيوانية التي أمكن دراستها في عالم الحيوانات!
٤. بروز آثار هذه الحضارة وتضخُّمها بدون كبير اعتبارٍ للخصائص الإنسانية الأصلية التي تُفرّق الإنسانَ عن الآلة والحيوان، وظهور طلائع مفزعة تنذر بما وراءها من دمار.

ثم عرض «سيِّد» هذه العناصر بشيءٍ من الشرح والتفصيل.

٢. الإنسان ذلك المجهول

وهو عنوان مستقى من عنوان لكتاب مشهور (للدكتور ألكسيس كاريل)، حيث قرر في كتابه أن حقيقة علمنا عن الإنسان لا شيء! وأننا نعيش في جهل مطبق بهذا الكائن الذي هو نحن! مع ما تيسَّر له من إمكاناتٍ هائلة وعلوم شتّى لدراسة الإنسان والتعرف عليه، وينقل عنه كلامًا طويلاً في ذلك وصولاً إلى خلاصة: «وفي الحقِّ لقد بذل

الجنس البشري مجهودًا جبارًا لكي يعرف نفسه، ولكن بالرغم من أننا نملك كنزًا من الملاحظة التي كدّسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانبَ معينةً فقط من أنفسنا.. إننا لا نفهم الإنسان ككُل.. إننا نعرفه على أنه مُكون من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلُنا، فكل واحدٍ منا مكون من موكبٍ من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة!!».

ثم ينقل عنه طويلاً في محاولة للإجابة عن سؤال: لماذا يبقى جهلُنا بالإنسان مع كل هذا التقدم العلميّ الهائل؟

ويصل إلى خلاصة: أنَّ التقدُّم البطيء في معرفة بني الإنسان يُعزى إلى عقبات أساسية وليس هناك أملٌ في تذليلها، وسيظل التغلُّب عليها شاقًا يستلزم جهودًا مضنيةً، وأن هذه العقبات أساسية، وليس هناك أملٌ في تذليلها. وأن معرفة نفوسنا لن تصل أبدًا إلى تلك المرتبة من البساطة المعبِّرة والتجرُّد والجمال التي بلغها علم المادة؛ لوجود فارق أساسي بين علوم المادة وعلوم الحياة، بين طبيعةً علوم المادة وطبيعة علم الإنسان، وبين طبيعة موقف العقل من هذه وتلك، وأن هذا الفارق كامنٌ في أمرين ثابتين لا يتعلَّقان ببيئةٍ ولا زمان، ولا بظروف وقتيةٍ مرهونةٍ بالزمان والمكان.. هما:

١. تعقُّد الموضوع.

٢. طبيعة تركيب عقولنا.

وأن تقدم الإنسان في علوم المادة وإبداعَه في العالم المادّي، وصحَّة بحوثه ونظرياته في ذلك الحقل، لا تقتضي تقدمه في علم الإنسان ولا صحَّة بحوثه ونظرياته في الحقل الإنساني.

لينتقل بعد تقرير هذا العجز والجهل إلى التصوُّر الإسلامي ويُرتِّب عليها نتائجَ عديدة، من إطلاق يدِ الإنسان في عمارة الأرض، واستخدام طاقاتها وخاماتها. بينما هو يضع لهذا الإنسان منهج حياته الذي يَحكم هذه الحياة، ولا يَكِل إليه هو وضعَ هذا المنهج، لأنه مُزوَّدٌ بطاقاتٍ مُعيّنةٍ ليتحكم في المادة عن علم -نسبي- وفي المقابل هو غير مُزوّد بمثل هذه الطاقات لمعرفة نفسه، حتى يتحكم في أمرها عن علم كما يتحكَّم في المادة.

فالإنسان -في التصور الإسلامي- هو سيِّد هذه الأرض بخلافته فيها عن الله، وكل ما فيها مُسخَّرٌ له بقدرة الله تعالى، وقد أوتي إمكان العلم بشؤونها هبةً من الله سبحانه، والاستمتاع بطبيعتها وجمالها نعمةً خالصةً منه.

ولكن هذا الإنسان -في التصور الإسلامي كما هو في الحقيقة- على كلِّ ما استودعه الله من أمانة الخلافة الكبرى في هذا الملك العريض، وعلى كلِّ ما سخَّر له من القوى والطاقات والأشياء والأحياء فيه، وعلى كلِّ ما أودعه فيه من طاقات المعرفة والاستعداد لإدراك الجوانب اللازمة له في الخلافة من النواميس الكونية.. على كلِّ هذا .. هو مخلوقٌ ضعيفٌ، تغلبه شهواته أحيانًا، ويحكمه هواه أحيانًا، ويقعد به ضعفه أحيانًا، ويُلازمه جهله بنفسه في كلِّ حين.. ومن ثمَّ لم يترك الله أمرَ نفسه ومنهجَه في الحياة لشهواته وهواه وضعفه وجهله.. ولكنْ أكمل عليه نعمته ورعايته، فتولَّى عنه هذا الجانب الذي يعلم -سبحانه- أنَّ الإنسان لا يقدر عليه قدرته على المادة، ولا يعلم بمقتضياته علمه بقوانين المادة، وهي جوانب التشريع ورسم المنهج.

ثم استفاض في الاستدلال على هذه الحقيقة وتقريرها من خلال النصوص الشرعية، ومن ذلك تسخير الكون والحياة للإنسان، مع التشديد على جعل شريعة الله ومنهجه منهجًا للإنسان، وألا يتَّخذ من عند نفسه لحياته منهجًا ولا شريعة، وإلا ادَّعى لنفسه -بهذا- حقَّ الألوهية ورفض إفراد الله بالألوهية.

وبعد تقرير هذا العنصر ينتقل لمعالجة العنصر الثاني من عناصر هذه المأساة كما رتَّبها في كلمة الافتتاح.

الإنسان في التصور الإسلامي هو سيِّد الأرض بخلافته فيها، وكل ما فيها مُسخَّرٌ له، وقد أودع الله فيه الطاقات والمعارف اللازمة له للخلافة، وهو مع ذلك ضعيفٌ تغلبه شهواته ويلازمه جهله بنفسه، فلم يتركه تعالى وأكمل عليه نعمته ورعايته، وتولى عنه جوانب التشريع التي لا يقدر عليها

٣. تخبُّط واضطراب:

إنَّ جهل الإنسان بذاته كما سبق تقريره كان يقتضي أن يبقى الإنسان قريبًا من الله تعالى، ملتجئًا إليه، مهتديًا بمنهجه الذي يضعه له عن علم وحكمة، وألا يغترَّ بفتوحات العقل والعلم في عالم المادة، ولا بمهارته في الإبداع المادي، وألا يفتنه هذا الغرور أيضًا فيجعله يُحاول أن يضع لحياته مناهج مستقلةً عن منهج الله، بله أن تكون معادية له شاردة عنه.

ولكن الذي وقع في أوروبا أولاً ثم عمَّت بلوته الأرض كلَّها فيما بعد كان على الضدِّ من هذا كلِّه، ومن ثَمَّ كان التخبط، وكانت الشقوة، وكان خطُّ الدمار الذي تنحدر فيه البشرية إلى الهاوية في هذا الزمان.

وقد عرض لأسباب شرود العلم وابتعاده عن الدين واصفًا تأثُّر أوروبا بالنهضة العلمية التي كانت تعمُّ العالم الإسلامي، ونقلَها عنها وتتلمُذَها على حضارتها، ثمَّ موقف الكنيسة العنيد في وجه هذا الاتجاه الجديد، ومقابلة نتائج بحوث الطليعة من العلماء الأوروبيين في عداءٍ شديد، واستخدمت سلطانها ضدَّهم بوحشيةٍ كان من جرائرها ذلك الشرود من الكنيسة، ومن كلِّ ظلٍّ للدين وللتوجيه الديني. فقد كان كلُّ اعترافٍ أو خضوعٍ للدين معناه الاعتراف والخضوع لهذا الطغيان الكَنَسيِّ الغشوم.

وعندئذٍ كان ذلك الفصام النكد بين الدين والعلم حتى مطلع القرن العشرين في أوروبا، وظل اندفاع الناس -والعلماء خاصة- في شرودهم الآبق عن الدين كلِّه. ولم يهدأ هذا الشرود -شيئًا ما- إلا في مطلع القرن العشرين، حيث جعل بعضهم يقف ليلتقط أنفاسه اللاهثة، وهو يُحسُّ بالخواء الروحيِّ من آثار الرحلة الجاهدة في التيه المقفر نحو أربعة قرون.

ولتوضيح آثار هذا الفصام بين الدين والعلم عرض «سيد» لنماذج من تجارب البشرية الذاتية في معزلٍ عن هَدي الله ومنهجِهِ للحياة من القديم إلى الحديث، وهي:

١. مسألة النظرة إلى الإنسان وحقيقة فطرته واستعداداته.
٢. مسألة النظرة إلى المرأة وعلاقة الجنسين.
٣. مسألة النظم الاقتصادية والاجتماعية.

> **جهلُ الإنسان بذاته يقتضي أن يُبقيه قريبًا منه تعالى، ملتجئًا إليه، مهتديًا بمنهجه الذي يضعه له عن علم وحكمة، وألا يغترَّ بفُتوحات العلم في عالَم المادّة، وألا يفتنه الغرور فيجعله يُحاول أن يضع لحياته مناهجَ مستقلةً عن منهج الله، بله أن تكون معاديةً له شاردةً عنه**

النظرة للإنسان وحقيقة فطرته واستعداداته:

ناقش «سيد» نظريات داروين وفرويد وماركس في أصل الحياة، وأصل الإنسان وعلاقته ببقية المخلوقات وتحليل شخصيته وتركيبه، ناقلاً عن علماء غربيين نقدهم لهذه النظرية وبيان أوجه خطئها وقصورها، متوصلاً لنتيجة: تفرُّد الإنسان في الكون بطبيعته وتركيبه، وفي وظيفته وغاية وُجوده، وفي مآله ومصيره، وهو الذي يقرِّره التصوُّر الإسلامي عن الإنسان في نصوصه الكثيرة: أنَّ هذا الإنسان هو مِن خلق الله، وأن خِلقته فذَّةٌ خاصة مقصودة، وعيَّنت له وظيفةً، وجَعَلت لوجوده غايةً، وأنه كذلك مبتلى بالحياة مُختبرٌ فيها، مُحاسب في النهاية على سلوكه فيها، هذا السلوك الذي يُقرِّر جزاءه ومصيره.

مستدلاً على ذلك بأدلّةٍ شرعية وعلمية عديدة، ونقول عن كبار علماء الغرب والمسلمين.

مع عرض دور الكنيسة في حصول هذا الانحراف من نظرتها للإنسان وتحميله الخطيئة، وتبنيها للعديد من الخرافات والأساطير ووقوفها ضد العلم وأهله.

وأنَّ تلك الموجة العاتية انساحت إلى جنبات الأرض، وما تزال ماضيةً في طريقها عاصفةً مدمِّرةً، تنفُخ فيها أبواقُ الصحافة والسينما والمسرح والأدب والتصوير والنحت.. وسائر الفنون، وسائر أجهزة الإعلام والتوجيه.. وما تزال البشرية تهوي إلى هاوية الدمار الأكيد، وعجلة الحياة جامحةٌ مجنونة تُلهبها سياط الأجهزة المتعددة، حتى يأذن الله فتتسلم القيادة يدٌ غيرُ تلك اليد الرعناء المجنونة الشاردة المحمومة.

النظرة إلى المرأة وعلاقة الجنسين:

استعرض «سيد» طبيعة النظرة للمرأة وللعلاقات بين الجنسين، والتأرجُح العنيف الذي

تعرَّضت له بين الغلوِّ والتفريط، والشدِّ والجذبِ الذي لا يستقرُّ على طريق وسطٍ، فقد تأرجحت النظرة للمرأة في الحضارات الأوروبية بين كائنٍ منحطٍّ أشبَهَ بالأشياء منه بالأحياء! إلى اعتبارها شيطانًا رجيمًا يُوسوسُ بالشرِّ والخطيئة! إلى اعتبارها سيِّدةَ المجتمع والحاكمةَ في أقداره وأقدار حاكميه! إلى اعتبارها عاملةً عليها أن تُكافح وتشقى لتعيش.. ثم تحمل وتضع وتُربّي!

كما تأرجحت العلاقةُ بين الجنسين بين اعتبارها علاقة حيوانٍ بحيوان، إلى اعتبارها دَنَسًا ورِجسًا من عمل الشَّيطان، إلى اعتبارها مرَّةً أخرى علاقة حيوانٍ بحيوان!

مبينًا في الوقت نفسه منهج الإسلام في تصحيح النظرة للمرأة وللعلاقة بين الجنسين، وبنائها على أسس راسخة من التكريم والتناسق مع الفطرة السليمة، وإعادة المرأة للمكانة اللائقة بها بإقامة العلاقة بين الجنسين على أساس من حقائق الفطرة، وبتوضيح هذه العلاقة في كل فرع من فروعها النفسية والعملية، بحيث لا تضطرب ولا تتأرجح ولا يكتنفها الغموض في زاوية من زواياها.

ثم استعرض «سيد» جانبًا من التشريعات الإسلامية في جانب علاقة الرجل بالمرأة والأسرة والأبناء.

خاتمًا هذه الفقرة بقوله: وهكذا يتَّضح من هذا الاستعراض مدى التخبُّط والاضطراب في النظرة إلى المرأة وعلاقات الجنسين في تاريخ أوروبا، ومدى التأرجح بين الطرفين المتباعدين، هذا التأرجح الذي لم يعتدل به الميزان قط، لوضع كل شطر من شطري النفس الواحدة في مكانه الحقيقي، ولإدراك دور المرأة الحقيقي ومكانها الطبيعي، والذي شقي به الجنسان وشقيت به البشرية –وما زالت تشقى– حتى يأذن الله، فتتسلم زمام الحضارة البشرية يد أمينة موصولة بالله ومنهجه للحياة.

التخبُّط والتطرُّف والهزات العنيفة وعدم اعتدال الميزان كانت السمة الطاغية في نظرة الحضارة الغربية للإنسان، وفي النظرة إلى المرأة وعلاقات الجنسين، وفي النظم الاقتصادية والاجتماعية سواءً بسواءٍ. وهذا طبيعي من نُظُم تقوم على نظرة خاطئة قاصرة للإنسان

النظم الاجتماعية والاقتصادية:

كما وقع التخبُّط والتطرُّف والهزات العنيفة وعدم اعتدال الميزان في النظرة إلى الإنسان وفطرته واستعداداته، وفي النظرة إلى المرأة وعلاقات الجنسين، كذلك وقع في النظم الاقتصادية والاجتماعية سواءً بسواءٍ.

وكان هذا طبيعيًا ومنتظرًا من نُظُم تقوم على تلك النظرة الخاطئة إلى الإنسان، وعلى الجهل المُطبِق بحقيقة الإنسان، فما لم تصحَّ النظرة إلى الإنسان ذاته، وحقيقةِ فطرته واستعداداته وغايةِ وجوده وحدود سلطانه.. إلخ، فلا مفرَّ من التخبُّط والأرجحة في كلِّ ارتباطاته الأخرى، وبخاصة ارتباطاته الاقتصادية والاجتماعية.. فهذه فروعٌ من تلك وأثرٌ من آثارها.

وقد تناول «سيد» تحت هذا العنوان النظريات الاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها أوروبا على وجه الخصوص، ومنها انتقلت إلى بلدان العالم، فعرض طويلاً للنظرية الماركسية في الاقتصاد والاجتماع –لعلوِّ صوتها في وقته– مفنِّدًا ناقدًا لهذا المذهب الإلحادي المدمِّر.

معرِّجًا على نظام الرقِّ الروماني، ونظام الإقطاع الأوروبي وما عانته البشرية بسببه من ظلمٍ رهيبٍ أهدرت فيه كرامة الإنسان وإنسانيته.

وكيف استمرَّت أوروبا في ذلك التخبُّط إلى حين احتكاك الصليبيين بالمجتمع الإسلامي، وعرفوا عن كثب أوضاعَ حياة الناس فيه، ورأوا نظامًا آخر، رأوا الناس أحرارًا في العمل والانتقال والتعبير، وشريعةً يتحاكم إليها الناس جميعًا، حاكمُهم ومحكومُهم، غنيُّهم وفقيرُهم، صاحبُ الأرض والعاملُ فيها على السواء. يتولّى الحكم بها قضاةٌ لا يُداهنون الحكام ويتصدَّون لهم إن ظلموا، وكان لوقفاتهم صداها الذي تتناقله الجماهير في العالم الإسلامي، وتعرفُها جموع الصليبيين الذين يحتكُّون بهذا المجتمع خلال قرنين من الزمان.

فكانت الانطباعات والتأثيرات بالمجتمع وأوضاعه تفعل فعلها في نفوس الصليبيين الذين شاهدوها، والملايين ممن وراءهم ممّن سمعوا قصص العائدين من هناك.

فتخمَّرت في المجتمع الأوروبي هذه الانطباعات والتأثيرات، إلى جانب عوامل محلية أخرى مما أدى إلى الثورة على نظام الإقطاع.

لكن الثورة لم تسلُك الاتجاه الصحيح، فقام على إثرها ردَّة فعلٍ على إهدار الوجود الإنساني، مما أدى لقيام النظام الرأسمالي على أساس إطلاق العنان لنشاط الفرد إلى غير حدّ، وللحرية الفردية من غير قيد، ولاعتبار الصالح الفردي هو الصالح الأعلى.

ولم يكتفِ بإتاحة الفرصة للمواهب الفردية أن تصل إلى قمة الإبداع والحركة والطلاقة، وأن تتجه الجهود إلى استثمار كنوز الأرض وقوى الطبيعة للصالح البشرى العام، بل انطلق السُّعار بدايةً من النظام الرِّبوي بحيث أصبح هو أساسَ الاقتصاد الحديث، انتهاء إلى اعتبار جميع القيم الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية هراءً لا معنى لها إذا شاءت أن تتدخل في قواعد الاقتصاد.

كما صاحب النظامَ الرأسمالي الانحلالُ الخلقيُّ تحت نظريات الحرية الفردية التي لا يجوز أن يحدها حدٌّ أو قيد، أو نظريات حيوانيةِ الإنسان ومادية الكون، وكلُّها منبَثِقَةٌ من حركة الهروب من الكنيسة والشرودِ من كل تفكير دينيٍّ على الإطلاق.

تضاف له حركة الاستعمار الرأسمالية الشرسة وما ارتكتبه من جرائم، وما خلفته من آثار.

ثم تتمثَّل الطامة الكبرى في (النظم الجماعية) التي طبقتها أوروبا في الشرق أو في الغرب، على اختلاف أسمائها وأشكالها، وكلّها تجتمع عند دعوى تمليك الموارد العامة ووسائل الإنتاج إما للشعب (كالنَّازية) وإما لطبقة من الشعب (كالماركسية)، والتي جاءت ردَّ فعلٍ للجموح الشارد في النظم الرأسمالية.

وكانت هذه هي الضريبة الفادحة التي دفعتها أوروبا –ومن ورائها البشرية كلُّها مع الأسف– لشرودها عن الله ومنهجه في الحياة.

> **جنايةُ الحضارة الراهنة وسببُ فسادها الأساسي وإهدارها للقيم والخصائص الإنسانية والمقومات الفردية يكمُنُ في رفضها ابتداء أن تكون للدين الاختصاصات التشريعية والسلطان المنهجي، أي رفضها لألوهية الله سبحانه**

٤. حضارةٌ لا تلائم الإنسان:

إنَّ الإبداع المادي في هذه الأرض على يد الإنسان –فوق أنه ضرورة لحياته ولنمو هذه الحياة ورُقيِّها– هو في الوقت ذاته وظيفةٌ أساسيةٌ له أودعها الله فيه، لكنَّ هذا الإبداع المادي بكل مدلولاته يجب أن يكون في خدمة الإنسان، وأن يكون ملحوظًا في هذا الإبداع وفي بناء الحضارة التي تقوم عليه

تنميةُ خصائص الإنسان التي تُفرِّقه عن المادّة وعن الحيوان، وألا يكون في طرائق الإبداع الماديّ ولا في بناء الحضارة التي تقوم عليه ما يناقض هذه الخصائص أو يدفنها أو يعوق نموها أو يحطمها، ولا أن يهينها كذلك ويحقرها، ولا أن يجعل دور الإنسان في هذه الأرض دورًا ثانويًا أو تابعًا للإبداع الماديّ بأيِّ حالٍ من الأحوال.

ثم أورد «سيد» جملةً من النقولات عن كبار علماء الغرب في نقد الحضارة الغربية، وعقب على ذلك بقوله: وهذه المقتطفات –وحدها– تكفي للدلالة العميقة على أنَّ هذه الحضارة «حضارة لا تلائم الإنسان». لأنَّها قامت دون معرفةٍ بطبيعته، وسارت في طريقها دون اعتبار لخصائصه، ودون اعتبار كذلك لما تُنزله به من ويلات.

وجنايةُ الحضارة الراهنة وسببُ فسادها الأساسي وإهدارِها للقيم الإنسانية والخصائص الإنسانية والمقومات الفردية يكمُنُ في رفضها ابتداء أن يكون للدين –بوصفه منهجًا للحياة من عند الله– هذه الاختصاصات وهذا السلطان، أي رفضها لألوهية الله سبحانه، هذا الرفض المتمثِّل في اتخاذ مناهج للحياة غير منهجه، ولو لم تعلن رفضها لألوهية الله جهرًا – كالبلاد الشيوعية– فاتخاذ مناهج من صنع البشر هو رفض لألوهية الله قطعًا.

٥. عقوبة الفطرة:

عرض «سيد» تحت هذا العنوان ما انتكست به المجتمعات الغربية والشرقية عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، سواء في النظرة لأصل الإنسان والغاية من وجوده في الحياة، أو الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية التي أحلها محل الأنظمة الربانية، أو العلاقة بين الرجل والمرأة، وغير ذلك، مما أدى إلى طمس الفطرة وتغييرها وحرفها، وما المصائب والكوارث التي تعانيها المجتمعات اليوم إلا نتاج لهذا الطمس والتغيير والعبث.

ثم أورد على ذلك شواهد عديدة ونقولاتٍ كثيرة عن علماء ومفكرين مسلمين ومن تلك المجتمعات، خاتمًا هذا العنوان ببيان أنَّ الله تعالى قد حذَّر عبادَه عواقبَ الإعراضِ عن القوانين الإلهية وعن منهج الله وهداه المتمشي مع سنته في الكون، فلا تكون لهم من عواقبها نجاة ولا مفر:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

٦. كيف الخلاص؟

تحت هذا العنوان يناقش «سيد» المقترحات لخلاص البشرية من هذا الواقع الذي تعيشه تحت الحضارة الغربية:

١- هل هو الحكم عليها بالإعدام؟

ويقرِّر أنَّه ليس أنسب الحلول التي تملكُها البشرية؛ أولاً لأننا لا نملك إصدار حكم بالإعدام على الحضارة الصناعية؛ فهي نتاجٌ طبيعيٌّ عميقُ الجذور أصيل الوجود، وُجد لتلبية حاجةٍ طبيعية للبشرية ومن ثمَّ لا تكون قابلة للإعدام.

وعلى فرض أنَّنا نملك تنفيذ حكمٍ كهذا فإن تحطيم هذه الحضارة يبدو أنه ليس في صالح البشرية، وفي حدود هذه النظرة لا نملك أن نُصدر حكم الإعدام على هذه الحضارة على الرغم من جرائمها البشعة ضد العنصر الإنساني!

٢- أم هل هو مزيد من علوم الإنسان؟

ويرى أن هذا وحده لا يكفي، وأنه لا يثق فيما قد نصل إليه من المزيد في علوم الإنسان، وصحيح أنَّ المزيد من علوم الإنسان ضروريٌّ لنا، لكنَّ هذا العلم يمثِّل جانبًا من جوانب التكوين الإنساني فحسب، ألا وهو الجانب المادي، وليس فيه ما يُلبي جانب التكوين الروحي والذي تفتقده الحضارة المادية؛ وبالتالي فهو لا يصلح سبيلاً للخلاص.

المجتمع الإسلامي هو طريق الخلاص الوحيد للبشرية المهددة بالدمار والبوار، وهو الاستجابة الوحيدة لنداء الفطرة، والدوافع لبروزه أقوى من كل قوةٍ معوقة، وأقوى من الأجهزة المسلّطة في كل زاوية من زوايا الأرض، وأقوى كذلك من جهل أهل الإسلام بالإسلام

> **الطريق إلى المجتمع الإسلامي طويلٌ وشاقٌّ ومليءٌ بالأشواك، وأعسرُ ما في هذا الطريق هو أن نرتفع نحن بتصوُّراتنا وبأفكارنا وبأخلاقنا وبسلوكنا -ثم بواقعنا الحضاريِّ المادي- إلى مستوى الإسلام**

٧. طريق الخلاص:

بعد كل هذا التطواف الكبير في جانب الحضارة المادية الحالية ومشاكلها، يقرر «سيد» أن المجتمع الإسلامي -مع كل ما فيه- هو طريق الخلاص الوحيد للبشرية المهددة بالدمار والبوار.

وأنَّه الاستجابة الوحيدة لنداء الفطرة، إنَّه ضرورةٌ إنسانية وحتمية فطرية، ومن ثمَّ فإن الدوافع لبروزه أقوى من كل قوةٍ معوقة، وأقوى من الأجهزة المسلَّطة في كل زاوية من زوايا الأرض، وأقوى كذلك من جهل أهل الإسلام بالإسلام، ومن بلادتهم وانغمارهم في التيار الجارف العام!

إنَّه لا مفر من قيام المجتمع الإسلامي، إنه إن لم يقم اليوم فسيقوم غدًا، وإن لم يقم هنا فسيقوم هناك.

إنَّ حتمية قيام هذا المجتمع بوصفه ضرورةً إنسانية لإنقاذ الإنسانية، وبوصفه الترجمة العملية للمنهج الإلهي الذي لا بد أنه غالب ليس معناه أنَّ الطريق إليه نزهةٌ مريحة، ولا أنه هناك على بعد خطوات!.

فالطريق إلى المجتمع الإسلامي طويلٌ وشاقٌّ ومليءٌ بالأشواك، وأعسرُ ما في هذا الطريق هو أن نرتفع نحن بتصوُّراتنا وبأفكارنا وبأخلاقنا وبسلوكنا -ثم بواقعنا الحضاريِّ المادي- إلى مستوى الإسلام.

إلحاد الناشئة ومسؤولية الأهل

أ. ريان هبطو

باسم تطور الفكر والترقية يُصنع لنا جيلٌ يؤمن بأقوال المشاهير واهتماماتهم أكثر من إيمانه بالقرآن والسنة! ومع عدم وجود أسسٍ تربويةٍ صحيحةٍ ومتينةٍ بالإضافة لتحرّر وتطوّر التقنية، كل ذلك يؤدي لطوامٍ ومصائب ما عُدنا نعرف كيف نحرر أبناءنا منها!

مصيبة الأهل في تمرّد أبنائهم المراهقين لا تنحصر في مسؤولية الأطراف الخارجية من مجتمع وإعلام وغيرها، بل في جزء كبير منها هي نِتاج صُنعهم وثمرة إهمالهم. فلو كانت الناشئة مؤسسةً على قواعد بنّاءةٍ وقويمةٍ، يترسخُ في جذورها معنى الإيمان ومخافة الله، والغيرة على الإسلام والقيم الأخلاقية الراقية، لوجدنا المراهق المسلم أنبل ما يكون في ردع المخالفات والمغالطات التي تمرّ به في حياته، لكنّ ضعف الأساس مصحوبًا بالتعرض لمؤثرات خارجية من برامج إعلامية غايةٍ في الرذالة والسفاهة، سينتج لنا جيلاً يسهُل جرّه نحو العدميّة، ومن ثمّ الانحراف الفكري والسلوكي.

رسالتي الأولى للأهالي الكرام المشغولين ألا ينسوا تأسيس قيم أبنائهم وتربيتهم التربية السليمة، والثانية إلى مسؤولي الجهات التعليمية لتوعية الأبناء وتوجيههم لبناء أمتهم، والثالثة لأصحاب الخبرة من المبرمجين والمهندسين من ذوي المعرفة والتخصص لبناء برامج ومنصات هادفة وبناءة.

لغة أهل الجنة

أ. محمد علي بسيوني

يقال: «إن أول من تحدث العربية هو إسماعيل عليه السلام»، ويقال: إنه «يعرب بن قحطان»، لكني أميل مع من مالوا لكونها لغة آدم في الجنة، تحيزًا لها وحبًا، وولعًا بها ووصَبًا.

اللغة العربية هي الأفصح بين لغات الشعوب، والأعلى بين منطوق البشر؛ فقد حوت الكثير من المفردات والتراكيب، وضمت في صدور ناطقيها الكثير من المعاني والعواطف، وزينت ألسنتهم بسيل من البدائع والزخارف.

وقد وجد السابقون ضالَّتهم فيها، فلا تكاد تقع عيونهم على شيء إلا وصفوه، ولا تسمع آذانهم صغيرًا أو كبيرًا إلا أدركوه وفهموه. بها كتبوا أشعارهم، وألقوا خطبهم، ووصفوا رحلاتهم، وأرّخوا لحروبهم وانتصاراتهم، وألفوا في الطب والفلك والجغرافيا والتاريخ، وسطروا في الفقه والعقيدة والبلاغة، ودونوا في التفسير، وصنفوا في الحديث.

فهذا الشعر بهزجه ورجزه، وقريضه ومبسوطه، وذاك النثر بخطابته ومقالته وقصته، ثم أنزل الله القرآن بالعربية ليكون نوعًا ثالثًا، فلا هو بالشعر ولا بالنثر، وإنما هو سلاسل الذهب التي تحدى الله بها أهل الفصاحة والكلام، فعجزوا رغم بلاغتهم عن الإتيان ولو بسورة من مثله، وكان شاهدًا على العربية، وكانت وعاءًا له، روعة في البيان، ودقة في الدلالة، وقوة في اللفظ.

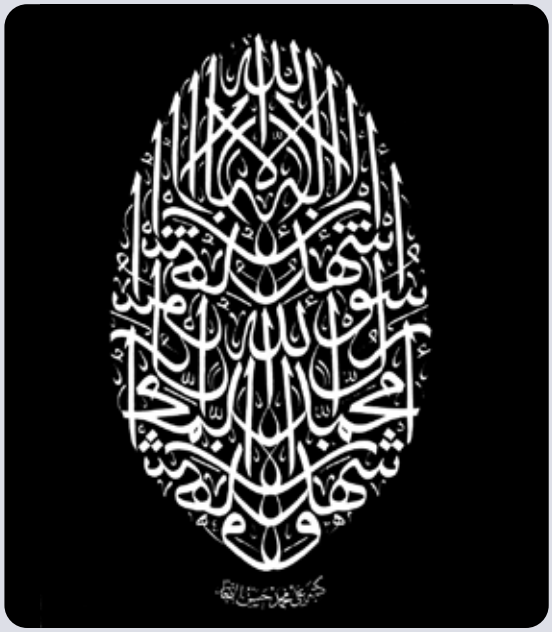

لا تخنقوا الحقيقة فأرواحُنا تتنفس

أ. محمود طعمة

(٢٠١٣/٨/٢١م) لم يكن مجرد تاريخ قد مضى فحسب بل إنه من أصعب وأعتى الأيام على الإطلاق، لم نكن نملك وقتًا لنسأل عن الساعة؛ فالرعونة كانت مسيطرة على الجميع.

كم كنت قاسيا أيها «الكيماوي»!! تتقهقر بي الذاكرة لمساء الأربعاء، حيث كنت ممرضًا مناوبًا في المشفى الميداني، وما أن خلدت إلى النوم حتى استيقظت من غفوتي على تلك الفاجعة العظيمة، فوقفت صامتًا لا أصدق ما أرى ولا أعرف ما جرى، بلحظات معدودة وطرفة عين؛ امتلأت ساحة الإسعاف بأشخاص مصابين مفجوعين؛ ثم تزايدت أعداد المصابين، إلى أن امتلأ المشفى بممراته وساحاته، والناس يفترشون الأرض، ويتنوعون بين شهيد وناج، وبين طفل وامرأة، وبين شيخ وشاب.

كدت أصعق يومها من هول المشهد، كنت أضع راحة يدي على شفتي اللتين ترتجفان واضغطهما، شعرت بأن عيني كادتا تنفجران من عظمة الفاجعة.

شهدت ما لم تسمعه أذن، وتشاهده عين، لم يرحموا أحدا أبدًا، حتى الحجر اشتم رائحة الموت، رأيت زملائي وأطبائي يستنشقون ويموتون، ورأيت بعيني ما تعجز يداي عن كتابته.

كان ذنبنا وجرمنا أننا نطقنا بكلمة (حرية).

على طريق غرس القيم

أ.أنس جمعة حشيشو

على الوالدين تجهيز المصل الإيماني المناسب وإعداد جملة من اللقاحات الفكرية والاجتماعية والعقلية الوجدانية لحماية أطفالهم كما يهتمون بلقاحاتهم الطبية!

فحالات التغريب وأزمة الهوية والشذوذ والإلحاد والإعلام الفاسد تجعل حصوننا مهددة من داخلها! ولذلك يلزمنا زيادةُ التحصين والبناء حتى مع السلامة والعافية.

مفهوم الرعاية يجعلنا أمام مهمة صعبة وتحدٍ كبير، لنضعْ شاخصاتٍ مرورية ومعالم في طريق الأطفال والناشئة نغرس من خلالها القيم الفاضلة.

همسة لكل أبٍ وأمٍّ:

من أعظم المغالطات التربوية حصر مفهوم الرعاية في الماديات، فالتربية ليست تأمين المأوى والطعام واللباس!

بل هي تنشئة وبناء للشخصية بأسلوب يُرضي الله عزَّ وجلَّ، ويجعل من هذا الفرد إنسانًا صالحًا ذا أثر في مجتمعه، قادرًا على الاندماج فيه بشكل متوازن، ومنتجًا معطاءً كالشمس المشرقة.

أَلْقِهِ على بلال

د.خير الله طالب

قبل تشريع الأذان اعتنى النبي ﷺ بكيفية تنبيه الناس لموعد الصلاة، وشاورهم وسمع منهم، واهتم عبدالله بن زيد ﷺ، فرأى رجلاً في منامه يُعلِّمه الأذان، فأمره النبي ﷺ أن يُعلِّم بلال بن رباح ﷺ؛ لأنَّ صوتَه أطيب وأرفع[1].

ليس من السهل على صاحب الفكرة أن يقالَ له: قدّمها إلى فلان لأنه أقدرُ منك على تنفيذها، وأصعبُ من ذلك أن يقال للمبادر: توقَّف عن هذا العمل؛ فغيرك يُحسنه أكثر منك، وأشقُّ منه أن يُطلب من شخص تركُ وظيفته أو التنازلُ عن منصبه لغيره.

مواقف تختبر ما في النفوس من شُحٍّ وجشع وهلع وتعلق بالأشياء والأحوال، ويظهر عندها الخوفُ منَ الفشل في المكان الآخر أو المهمة الجديدة، وتبرز الرغبةُ في الاسترخاء الناشئ عن الراحة في المكان المألوف .. ونحو ذلك مما ينتج عن الخوف من مصاعب المهمّات الجديدة، وتحدياتها المجهولة.

بينما تتطلَّب عجلة التنمية ومسيرة الحياة عكس ذلك، من نُصح المرء لعمله واستعداده للتخلي للأجدر، بل البَحث والتقصِّي عن الأكمل ليحلّ مكانه، ليُتوِّج نجاحَه بتخليه عن منصبه لمن هو أقدر منه على المسؤولية وعلى متابعة المسيرة والإنجاز. وقد استنبطَت الدراسة المسطَّرة في كتاب (من جيد إلى عظيم) أنَّ العامل الأول لذلك التحوّل هو القائد المتواضع، القادر على رفع جنوده ذوي الجدارة فوق مرتبته إذا كانوا يستحقونها، فهو رجل رسالة لا صاحب منصب. وما أسعده بالمناصب التي تأتيه صاغرة، دون أن يذلّ نفسه في التطلع إليها.

هؤلاء الذين يمتلكون مرونة التخلي عن مواقعهم هم الذين يوسّعون مساحة تأثيرهم، على عادة المؤسسات الناجحة التي لا تشغل نفسها بغير ما تأسست له مما يمثّل قيمتها الحقيقة وإضافتها النوعية، ثم تقوم بشراء ما عدا ذلك من الخدمات من بيوت الخبرة في التخصصات المتنوعة، فتحصل على أكمل الخدمات في كل شيء، وتعثر على الحلول المثلى لمشكلاتها؛ لأنها حصدت زهرة العقول والخبرات. والعاقل الحكيم من أضاف حكمة الناس إلى حكمته. وما قامت المنجزات التاريخية الكبرى إلا على يد أناسٍ عرفوا قدر أنفسهم، فأتاحوا مساحة العملِ الأوسع للعدد الأكبر، كما لم يشتغلوا بتخليد أسمائهم، فقام أتباعهم بتخليدها.

على خلاف من حجّم نفسه بأوهام إرادة فعل كل شيء بنفسه، أو نسبة كل نجاح إلى ذاته كالعديد من الزعماء في عالمنا، فحَرَم نفسه الجودة والإنصاف والرقيّ، وربما حرم نفسه لذة عبادة الترك التي قد يحين وقت وجوبها، فإن على راجي الدرجات العلى معرفة (أين يقف) كمثل معرفته (أين يتقدَّم)، لأن تجاوُز المرسوم قد يكون أشدَّ ضررًا من التقصير في المطلوب.

قيمةُ المرء ما يحسنُه، واستثماره الأعلى في نقاط قُوته، وجدارتُهُ العليا في موهبته الأولى. هنالك عليه أن يتموضع، وفي ذلك الموضع عليه أن يتخصَّص. ساعتها سيتمكن من الإبحار بمهارةٍ في تخصصه الدقيق وموضعه النفيس، فما يستطيع أحدٌ منافسته، فضلاً عن التفوق عليه، إلا من ملك أعلى من موهبته، وفاقه في إتقان تموضعه.

وهذا التموضع يتحقَّق شكلاً وموضوعًا في القوالب والمحتوى، وفي الوسائل والغايات.

وكلَّما كان المرء أقدرَ على الترك بنيةٍ صالحةٍ ونفسٍ طيبةٍ عوضه الله خيرًا ممّا ترك، فانفتحت له أبواب الغوص نحو الدُّرر، واكتشف ساحات السعة الممتدَّة في الأعماق.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩)، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن زيد رضي الله عنه: (فقُم مع بلالٍ فألقِ عليه ما رأيتَ فليؤذّن به فإنه أندى صوتًا منك).

ترحب مجلة رواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

كما ترحب المجلة بخواطركم القصيرة ضمن زاوية (بأقلام القراء)

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

هيئة الشام الإسلامية

بمناسبة مرور عامين على انطلاقة مجلة رواء

يطيب لأسرة التحرير أن تهنئكم، وترجو أن تكون المجلة
قدمت لكم مادة فكرية تليق بكم، وأسهمت في إثراء المحتوى الثقافي في الساحة

وهي بهذا تجدد الدعوة للكتاب والمفكرين للمشاركة في صفحات رواء

www.islamicsham.org

islamicsham2 islamicsham